

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ



الخليفة المستعصم بالله و سقوط بغداد 640-656 هـ / 1242-1258 م

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط

إشراف الأستاذ:
أ.د/ كمال بن مارس

إعداد الطالبة:
• خطابي زينب

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أة سناء عطابي	أستاذ مساعد "أ"	رئيساً	جامعة 08 ماي 1945
أ.د/ كمال بن مارس	أستاذ	مشرفاً و مقررًا	جامعة 08 ماي 1945
أ. عبد القادر مباركية	أستاذ مساعد "ب"	عضوا مناقشا	جامعة 08 ماي 1945

السنة الجامعية: 1437-1438 هـ / 2016-2017 م

شكر وتقدير

أولاً الحمد و الشكر لله نعمده و نستعينه ، على كرمه و نعمته و هيبه من قوة و صبر لإتمام هذا العمل المتواضع.

أما بعد فأقدم بجزيل الشكر ، و أسمى عبارات التقدير و العرفان إلى الأستاذ المشرف

" أ.د. كمال بن مارس "

الذي ساعدني في انجاز هذا العمل، و لم يبخل علي بنصائحه و ارشاداته و المعلومات العلمية متمنية له كل الخير و طول العمر.

و أتقدم بالشكر أيضا إلى الأساتذة في اللجنة على قبولهم مناقشة مذكرتي:

الأستاذة " عطابي سناء "

رئيسة اللجنة و التي لم تكن كذلك فقط بل من أحب أساتذتي، فقد رافقتني خلال ثلاث سنوات دراسية في الجامعة، متمنية لها المزيد من النجاحات و تحقيق الطموحات.

"و الأستاذ عبد القادر مباركية "

الأستاذ المناقش، و لي كل الشرف أن اجتمع مع هذه النخبة لمناقشة مذكرتي.

دون أن أنسى تقديم الشكر و التقدير و العرفان أيضا لكل أساتذتي في الجامعة بصفة عامة، و إلى أساتذة قسم التاريخ الوسيط بصفة خاصة، على كل ما قدموه لنا من معلومات و توصيات خلال مسارنا الدراسي.

الأهداء

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل صلوات و أزكى تسليم أما بعد :

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى:

أعز إنسانة على قلبي ، أعز ما أملك في الدنيا، إلى من سهرت معي و لأجلي، و تحملتني، و لم تبخل علي بشيء سواء ماديا أو معنويا، و مهما عبرت و استخدمت من كلمات، لم أستوفى خيرها علي وإن كنت قد وصلت إلى هذا المقام فالفضل الأول والأخير يعود إليها و إلى دعواتها:

""أمي الغالية حفظها الله""

""و إلى أبي""

أيضا أهدي عملي هذا إلى زوجي الذي رافقني هو الآخر و أمدني بالعون و شجعني على الدراسة وكان سندا لي:

""رابع دواخة""

كذلك إلى إخوتي شاكراً لهم على مساعدتهم لي :

"أسماء و زوجها"، "أحالة"، "مي".

إلى من أضافت النور لحياتي، و جعلتها أكثر فرح، ابنتي الصغيرة الحلوة الغالية، ابنتي

"ريناد حفظها الله تعالى".

إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل من قريب و بعيد، دون أن أنسى صديقتي اللواتي رافقنني خلال الدراسة في الجامعة كل زميلاتي في قسم التاريخ الوسيط دفعة 2016-2017م، خاصة منهم أعز صديقتي : نسرين ، حياة، و أمينة.

زينب

قائمة المختصرات

الرمز	المقصود به
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ت	توفي
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طبعة
ص	صفحة
ط	طبعة
مج	مجلد
مر	مراجعة
م.س	مصدر سابق
م.س	مرجع سابق
م	ميلادي
هـ	هجري

مقدمة

قامت الخلافة العباسية، بعدما أخذت مقاليد الحكم من الأمويين و كان أول خليفة عباسي هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي (132-136هـ/749-753م)، ثم بدأ نفوذهم يزداد، وأخذوا في الاتساع، و كان ذلك يتمشى مع توالي الخلفاء العباسيين عليها كما أقاموا عاصمة جديدة لخلافتهم هي العاصمة بغداد التي بناها الخليفة أبو جعفر المنصور مستغرقاً في ذلك أربعة سنوات مذ 145-149هـ/762-766م، واستطاعت هذه العاصمة أن تصبح بعد ذلك حاضرة الدنيا، و أعظم المدن العربية الإسلامية.

إلا أن الظروف التي توالى على الخلافة، أدت إلى سقوطها، بدءاً بانحراف العباسيين عن الأمويين، في عدم إعتمادهم على العرب، بل اعتمدوا أولاً على العنصر الفارسي، كونهم الذين سلموا لهم مقاليد الحكم في إدارة أمور الدولة، ثم لجأوا إلى العنصر التركي، ثم البوهيين الذين استولوا على بغداد في 334هـ/945م، و بعدهم السلاجقة الذين دخلوا بغداد في 447هـ/1055م ، إذ لم يبق لهم في عهدهم من نفوذ سوى ذكر اسمهم في الخطبة ونقشه على السكة فقط.

و ظل الحال كذلك إلى غاية آخر خليفة عباسي المستعصم بالله (640-656هـ/1242-1258م)، الذي عُرف بسوء تدبيره، و قلة معرفته بأمور الخلافة، وضعف شخصيته ما جعل أكابر الدولة يتقلدون زمام الأمور منه، و اكتفى هو بالسلطة الاسمية

فقط، فتلك الظروف إضافة إلى أخرى داخلية و خارجية، أوقعت بالإسلام والمسلمين، و عجلت نهاية الخلافة العباسية و سقوط عاصمتهم ، على يد المغول.

فما ان انبثق فجر القرن السابع الهجري الموافق للثالث عشر الميلادي، إلا و كان الشرق الاسلامي يستقبل تلك الجيوش المغولية الجرارة، المندفعة نحوه من شمال آسيا الشرقي، بقيادة زعيمهم الأول جنكيز خان ومن ثم أبناءه و أحفاده ،وقد كان غزوا عنيفا إذ أنهم كانوا مدفوعين بكامل حماسهم واثقين من أنفسهم و من قدرة جيوشهم، زارعين الفزع والهلع في نفوس المسلمين، بدعوا الهجوم على الدولة الخوارزمية، أكبر الدول الإسلامية وأقواها، فكانت تلك نقطة انطلاق لهم نحو دول العالم الإسلامي و استطاعوا في فترة وجيزة أن يغزونها، رغم ما كانت عليه من درجة الحضارة و المدنية، وصولا إلى العاصمة بغداد متمكنين منها هي الأخرى سنة 656هـ/1258م ، بقيادة زعيمهم هولاكوخان مبعوث الحاكم الأعظم منكوقان.

1-الإشكالية:

والإشكالية المطروحة حول هذا الموضوع هي: كيف حدث هذا السقوط لخلافة عظيمة مثل الخلافة العباسية التي ظلت قائمة أزيد من خمسة قرون، وسقوط هذه الحاضرة بغداد التي كانت تمثل حضارة الدنيا و مركز الخلافة العباسية على يد المغول؟

ومن هذا الإشكال أ طرح التساؤلات التالية:

- من هم هؤلاء المغول الذين استطاعوا إنهاء الخلافة العباسية؟
- كيف توحد هذا الشعب و كونوا دولة لهم تتمتع بتلك القوة العسكرية؟
- هل ما حققوه راجع إلى قوتهم الذاتية أم إلى ظروف خاصة بالعالم الإسلامي أيضا؟
- كيف ساهم الخليفة المستعصم بالله في سقوط بغداد؟
- كيف كانت أحوال الخلافة العباسية و الخليفة قبل الغزو المغولي لبغداد؟
- من هم الشخصيات الفعالة وراء هذا السقوط ؟
- وكيف غدت بغداد بعد هذا الانهيار؟

2-دوافع اختيار الموضوع:

تعود دوافع اختياري لهذا الموضوع إلى ميولي لدراسة هذا النوع من المواضيع التاريخية، لاسيما سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية، فهو حدث ذو أهمية و قيمة علمية كبيرة ، ما دفعني لمعرفته والبحث فيه، إضافة إلى أن السقوط كان على يد شعب ذو ميزات مختلفة و هم المغول، الشعب القوي المغامر الذي حقق انتصارات وانجازات عظيمة في

العالم الإسلامي خلال حملاته على مراكز الحضارة الإسلامية و ما تبع ذلك من ذهاب البلدان و الفضاغة و الوحشية و القسوة و الخطورة، كما أن حوادث القرنين السابع و الثامن الهجريين تصنف ضمن أهم أحداث التاريخ. كل هذا جعل الموضوع يجلب أنظار حول تاريخ تلك الفترة ، ويحفز لمعرفة أحوال هذا الشعب و أمورهم ، إضافة إلى أحوال العالم الإسلامي إبان تلك الغزوات ولاسيما بغداد.

3-الأهداف:

و الهدف من وراء دراسة هذا الموضوع هو معرفة أولا الأسباب الحقيقية وراء الغزو المغولي لبغداد، و أحوال هذا الشعب، و أسباب نجاحهم في غزواتهم، و أعمالهم في دول العالم الإسلامي، لا سيما بغداد.

4-حدود الموضوع:

تمت دراسة هذا الموضوع خلال الفترة الزمنية الممتدة من (640-656هـ/1242-1258م) ، أي خلال العصر العباسي الأخير في العراق، و أما الحدود الجغرافية للموضوع فهي بلاد المشرق الإسلامي.

5-المنهج:

و اعتمدت في هذا الموضوع على منهجية علمية تمثلت في: المنهج الوصفي لتقصي و جمع المادة العلمية من مختلف المصادر و المراجع و تركيبها و بناءها، بالإضافة إلى المنهج التحليلي، لإخضاع المادة العلمية للنقد.

6-الخطة:

ولدراسة هذا الموضوع تمكنت من وضع المعلومات المتحصل عليها في فصلين أول وثاني و فصل تمهيدي، كان الفصل التمهيدي فيها بعنوان التعريف بالخليفة المستعصم بالله، و فيه مبحثين الأول بعنوان نسبه، ولادته و نشأته، و الثاني: توليته للخلافة.

أما الفصل الأول فكان بعنوان المغول في التاريخ، و فيه ثلاثة مباحث الأول جاء بعنوان المغول قبل جنكيز خان: أصلهم و موطنهم، عاداتهم و دياناتهم، أما المبحث الثاني فعنوانه المغول و جنكيز خان يتناول : ظهور جنكيز خان و التعريف به، إصلاحاته والقوانين التي أقرها، و المبحث الثالث، غزواته لدول العالم الإسلامي قبل بغداد.

و جاء الفصل الثاني بعنوان نهاية الحكم العباسي في بغداد .

تناولت في المبحث الأول: أحوال الخلافة العباسية و الخليفة قبيل الغزو المغولي لبغداد، و المبحث الثاني جاء عنوانه دور ابن العلقمي في الغزو المغولي على بغداد ، أما المبحث الثالث عنوانته بهولاكو يزيل الخلافة العباسية في بغداد ، متناولة تعريف هولاكو وسير حملته نحو بغداد، وأحوال البلاد بعد الغزو.

و أخيرا الخاتمة التي كانت نتاجا لمجموعة من الاستنتاجات.

7-الصعوبات:

ومن الصعوبات التي واجهتها في هذا الموضوع هي: بالرغم من وجود المصادر والمراجع حول هذا الموضوع، إلا أن المعلومات معادة في كل مصدر و مرجع أي أنها

متشابهة في مضامينها، ما يُعسر الوصول إلى معلومات جديدة و إضافتها و أحيانا تكون بنفس اللغة و الأسلوب.

بالإضافة إلى أن الموضوع واسع خاصة عند التحدث عن ذلك النوع من الأجناس أي المغول، فتاريخهم واسع و أعمالهم كثيرة، و هو وحده يعتبر موضوعا منفردا، له جزئيات وتفاصيل كثيرة، لذا في الحديث عن ذلك الشعب و عن غزواته، اكتفيت بغزواتهم منذ البداية إلى غاية إسقاطهم بغداد فقط.

دراسة نقدية لأهم المصادر و المراجع:

اعتمدت في استيقاء هذه المعلومات على مجموعة المصادر و المراجع ، كل ذا أهمية تاريخية، افادتني في هذا الموضوع:

- فابن الأثير كتابه "الكامل في التاريخ" استقيت منه أخبار المغول و أحوالهم قبل وبعد جنكيز خان و أيضا مخططاتهم لشن الغزوات على دول العالم الإسلامي، و ما قاموا به.
- وزودني ابن العبري : "مختصر تاريخ الدول" بمعلومات حول جنكيز خان، وتوسعاته و غزواته، و سير حملة هولاكو نحو بغداد و عن خططه للإطاحة بها.
- أبو شامة المقدسي: "الذيل على الروضتين" أخذت منه تعاريف للخلفاء و أعمالهم وإنجازاتهم و ما قاموا به في فترات خلافتهم، و من الكتب التي زودتني بمعلومات في هذا المجال أيضا: اليافعي "مرآة الجنان و عبرة اليقظان"، الحنبلي "ذيل مرآة الزمان"، والسيوطي في "تاريخ الخلفاء".

- الجويني: "تاريخ فاتح العالم"، اعتمدت عليه في معرفة أحوال المغول كاملة، قبل وبعد جنكيز خان، و كل ما نص عليه قانون "الياسا" الذي أقره، ثم هجوماتها على دول العالم الاسلامي.
- الهمذاني: "تاريخ المغول" هو الآخر تحدث عن تجهيزات كلا الطرفين قبل تواجدهما من مغول و عباسيين إلى جانب تعريفه لهولاكو، و لأحوال بغداد قبيل الغزو المغولي لها، و مدى تأثرها به .
- الذهبي في " كتابه سير أعلام النبلاء" زودني بمعلومات حول الحكام و القادة والسلاطين و كل كبار الدول الإسلامية، و انجازاتهم، و ترجمة لهم. بالإضافة إلى كتابه "العبر في خبر من غبر" استفدت منه بمعلومات حول غزوات المغول لدول العالم الإسلامي، و عن سير حملة هولاكو نحو بغداد، ثم نتائج ذلك.
- ابن كثير "البداية والنهاية" هو الآخر زودني بمعلومات حول تحريضات ابن العلقمي للمغول، و تخطيطات هولاكو لسير حملته و نتائج هذا الغزو على بغداد ، إضافة إلى التعريف بالخليفة المستعصم بالله و غيره من الخلفاء و الحكام.
- ابن تغري بردي، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة" فتناول فيه معرفة السبب وراء تحريضات ابن العلقمي للمغول، و السبب أيضا وراء كراهية الوزير لأهل السنة و حقهه عليهم، و تجهيزات كلا من المغول و العباسيين للمواجهة.

- كما لم أتخلى على ابن خلدون في كتابه "ديوان المبتدأ و الخبر" فقد تناول نسب ترمجين و ظروف توليته كحاكم أعظم للبلاد، و تحريضات ابن العلقمي للمغول ودوره في الغزو ، و كذا نتائج الغزو المغولي لبغداد.
- القلقشندي: "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" عَرَفَ هو الآخر بجنكيز خان وبنسائه و أولاده، و ظروف توليته، و التعريف بهولاكو، إضافة إلى تعاريف لبعض الوظائف التي عرفت في بلاط الخلافة العباسية.
- النسوي: "سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي " حيث زودني بمعلومات حول الدولة الخوارزمية، و التعريف بجنكيز خان و أحوال المغول من قبله و بعده، وعن تجهيزاته لغزو الخوارزميون.
- ابن طباطبا "الفخري في الآداب السلطانية" فهو الآخر أفادني بمعلومات حول خلفاء بني العباس، و تحدث عن وزارة ابن العلقمي و عن سير أحداث الغزو المغولي لبغداد.
- دون أن أتخلى عن ياقوت الحموي في معجمه "معجم البلدان" إذ استقيت منه معلومات حول مختلف الأماكن و البلدان من مواقع جغرافية و غيرها.
- كما اعتمدت إلى جانب تلك المصادر مجموعة مراجع أذكر منها: محمود شاكر، "التاريخ الإسلامي"، الدولة العباسية، و محمود السيد "التتار و المغول"، فؤاد الصياد " المغول في التاريخ"، حسن إبراهيم حسن "تاريخ الإسلام"، وفاروق فوزي "الخلافة العباسية"، كل هذه المراجع و غيرها زودتني بالعديد من المعلومات حول هذا

الموضوع من تعاريف حول الخليفة المستعصم بالله و المغول، و قائدهم الأول جنكيز
خان ، وأحوال بغداد قبيل الغزو، و عن سير حملة هولاكو، ثم بغداد بعد الغزو
المغولي و ما آلت إليه.

فصل تمهيدي: التعريف بالخليفة المستعصم بالله

المبحث الأول: نسبه، ولادته و نشأته

المبحث الثاني: توليته للخلافة

1- المبحث الأول: نسبته، ولادته و نشأته

هو أبو أحمد عبد الله بن المستعصم بالله بن الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله بن المستجد بالله بن المفتي لأمر الله بن المستظهر، بن المقتدي بأمر الله بن أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله بن المعتصد بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن الرشيد، بن المهدي بالله عبد الله محمد بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد الله المطلب بن هاشم الهاشمي العباسي⁽¹⁾.

هو من مواليد سنة 609هـ في شهر شوال/مارس 1213م، كانت ولادته في فترة خلافة جده الناصر لدين الله أبي العباس، ولقد كان الخليفة المستعصم حسن الخليفة، متدينا بمذهب أهل السنة والجماعة، كما كان أبوه وجده⁽²⁾.

أما شبابه فقد أتقن فيه تلاوة القرآن وحفظه، وكان كثير تلاوته، بصوت طيب و بأداء حسن، وإلى جانب ذلك كان على معرفة بالتفسير، و أيضا أتقن اللغة العربية، وكان حسن الحظ. وتعلم هذا على يد الشيخ شمس الدين أبي المظفر علي

¹ - اليونيني الحنبلي: قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين البعلبكي، (ت726هـ)، ذيل مرآة الزمان، دار المعارف العثمانية، ط1، بجند آباد الدكن، الهند، 1326هـ/ 1954م، ج1، ص253، 254. الذهبي: الحافظ، (ت. 748هـ)، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1405هـ/ 1985م، ج3، ص281. ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر (774هـ)، البداية و النهاية، تح: عبد الله بن عبد المحن التركي، دار الهجر، ط1، القاهرة، 1419هـ/ 1998م، ج17، ص366.

² - ابن كثير، م.س، ج17، ص366.

بن محمد بن النيار وهو من احد الأئمة الشافعية، وعند خلافة المستعصم أكرمه وأحسن إليه⁽¹⁾.

و لقد استجاز له ولجماعة من أهله، ابو عبد الله ابن النجار في رحلته إلى خراسان جماعة كثيرة، منهم الحسن المؤيد بن محمد الطوسي، وأبو روح عبد المعز بن محمد الهروي، وأبو بكر القاسم بن عبد الله ابن الصفار وغيرهم، وحدث عنه جماعة، فسمع منه مؤدبه شيخ الشيوخ صدر الدين بن النيار⁽²⁾، و روى عنه وأجازه الإمام محي الدين بن الجوزي و الشيخ نجم الدين أبي محمد عبد الله بن محمد الباذرائي وحدثا عنه بهذه الإجازة.⁽³⁾

¹ - ابن كثير، م.س، ج17، ص 366.

² - الذهبي، العبر في خبر من غير، م.س، ج3، ص 281.

³ - اليونيني الحنبلي، م.س، ج1، ص 254.

المبحث الثاني: توليته للخلافة

الخليفة المستعصم بالله في ترتيب خلفاء بني العباس هو الخليفة الثامن والعشرون من خلفاء بني العباس ببغداد⁽¹⁾، بفوفاة والده المستنصر بالله⁽²⁾، بكرة الجمعة 10 جمادى الآخرة 640هـ / 5 ديسمبر 1242م، استدعاه بعد الصلاة و بوبع له بالخلافة، ولقب بالمستعصم، و كان عمره آنذاك ثلاثون سنة وشهور، أما مدة خلافته فقد دامت خمسة عشرة سنة، و ثمانية أشهر و أياما⁽³⁾.

وهذه البيعة المستعصمية، كان القائم بها الدوادار⁽⁴⁾، وقائد الجيش شرف الدين ابو الفضائل اقبال الشرابي المستنصري⁽⁵⁾. أما أول من بايعه، كان بنو عمه وأهله من بني العباس، ثم اعيان الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة، و العلماء و الفقهاء، ثم

¹ - القلقشندي: أبي العباس أحمد (821هـ / 1418م)، الصبح الأعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب المصرية، د.ط، القاهرة، 1430هـ / 1922م، ج3، ص264.

² - المستنصر بالله: هو أبوجعفر منصور بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر أحمد، ولد سنة 588هـ / 1192م، تمت خلافته في رجب 623هـ / جويلية 1227م، وحكم البلاد مدة ست عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة وعشرين يوما، وتوفي سنة 640هـ / 1242م عن عمر احدى وخمسون سنة وأربعة اشهر وسبعة أيام، أنظر: الذهبي، العبر في خبر من غير، م.س، ج3، ص239، ابن كثير، م.س، ج17، ص260.

³ - مغلطاوي علاء الدين: بن قلنج بن عبد الله الحكري البكري، (ت762)، تاريخ مختصر الخلفاء، تح: آسيا كليان علي البارح، دار الفجر، ط1، القاهرة، 2001م، ص156.

⁴ - الدوادار: موضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان، وإبلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص و المشاورمعه في الأمور، أنظر: القلقشندي، م.س، ج4، ص19.

⁵ - اقبال الشرابي المستنصري: هو جمال الدولة أمير الجيوش شرف الدين أبو الفضائل الجيثي المستنصري الشرابي. جُعل في سنة 620هـ / 1222م مقدم جيوش العراق، وأنشأ مدرسة في غاية الحسن في سنة 628هـ / 1230م للشافعية، ثم أنشأ مدرسة أخرى سنة 632هـ / ، وهو رجل دين وخشوع، له محاسن كثيرة، إلتقى ببتار في سنة 643هـ، فهزمهم، فعظم بذلك وصار من أكبر الملوك، إلى أن توجه في خدمة المستعصم نحو الحلة لزيارة المشهد، (شهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب). فمرض اقبال في الحلة، رجع إلى بغداد في شوال 653هـ / 1255م وتوفي بها، أنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف، محي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1417هـ / 1996م، ج23، ص370.

العامة من الناس، و ببيعته خُطب له في سائر البلدان و الأقاليم، و على كل المنابر، كما كان الحال مع أبوه و أجداده من بني العباس⁽¹⁾.

ويذكر أن الأسرة العباسية قد عارضت هذا الاختيار، إلا أن القائمين بهذه البيعة قد أكرهوهم على البيعة بالتهديد، بقطع الميرة و الطعام عن الفردوس حيث توجد دورهم⁽²⁾، و السبب معارضتهم له، و رغبة أصحاب النفوذ في توليته يعود إلى شخصية الخليفة الضعيفة، التي أخافت العباسيون، ولكن أصحاب النفوذ كانت تمثل لهم القوة⁽³⁾.

فقد كان للمستعصم بالله أخ يدعى بالخفاجي ذا شهامة و شجاعة، وكان يقول: "إن ملكني الله تعالى أمر الأمة، لأعبرن بالعساكر نهر جيحون و أنتزع البلاد من يد التتر، و أفنيهم قتلاً و أسراً و سبياً، فلما توفي المستعصم بالله، لم ير الدوادار و الشرابي، و غيرهم من أصحاب النفوذ أن في تعيينه خيراً له، و إنما كانوا خائفين منه، لما يعلمونه عنه، لذا وقع الاختيار عليه⁽⁴⁾.

فالمستعصم عرف بليته و بخله و حبه للمال، و قلة خبرته و معرفته و تدبيره لأمر الدولة، و كان نازل الهمة، مهملاً للأمر، ضعيف الشخصية، كان أصحابه

¹ - ابن كثير، م.س، ج17، ص 265.

² - فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية، السقوط والانهيال، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2009، ج2، 248.

³ - اليونيني الحنبلي، م.س، ج1، ص255.

⁴ - السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ)، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 1464هـ/2003م، ص 364. فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، دط، بيروت، 1980، ج1، ص 232.

مستولين عليه، غير مهيب في النفوس، و لا مطلع على حقائق الأمور⁽¹⁾، كما كان يُقدم على فعل ما هو غير لائق بمنصبه⁽²⁾، فتلك الصفات جعلت منه الرجل الذي يبحث عنه أصحاب النفوذ، حتى يتقلدوا الحكم، يستبدون بالأمور⁽³⁾ والتدبير. إلى جانب ذلك فقد كان رجلا يهوى المرح يقضي معظم وقته في سماع المطربين ومشاهدة المهرجين⁽⁴⁾ و اللعب بالطيور، أو مطالعة الكتب، و استولت عليه النساء⁽⁵⁾.

¹ - فؤاد عبد المعطي الصياد، م.س، ج1، ص232.

² - اليونيني الحنبلي، م.س، ج1، ص255.

³ - فاروق عمر فوزي، م.س، ج2، ص248.

⁴ - فؤاد عبد المعطي الصياد، م.س، ج1، ص232.

⁵ - ابن العبري، غريغوريوس ابن هارون بن توما الملطي ابو الفرج (ت 685هـ)، تح: انطوان صالحاني السيوعي، تاريخ مختصر الدول، دار الشروق، ط3، بيروت، 1992، ص445.

الفصل الأول: المغول في التاريخ

المبحث الأول: المغول قبل جنكيز خان

المبحث الثاني: المغول و جنكيز خان

المبحث الثالث: غزوات المغول على العالم الإسلامي قبيل

سقوط بغداد

المبحث الأول: المغول قبل جنكيز خان

1- أصل المغول:

يُرجع ابن الأثير⁽¹⁾ أصل المغول، إلى أنهم نوع كثير من الترك، كما يذكر الذهبي⁽²⁾ بأنهم "خرجوا من أراضيهم قديما و نزلوا بلاد الترك".

والمغول قد ظهروا في القرن 4هـ/10م، و عرفوا بأسماء مختلفة منها: "المُغل"، و"التتر"، وهي مسميات لشعب واحد يتكون من قبائل متعددة⁽³⁾، و أن تلك الشعوب نسبهم يعود إلى أصول واحدة، و هي أصول تركية، و ما يوضح صحة أصلهم التركي هو ذكر اسم التتار بنقوش أرخون العريق التركية التي ترجع للقرن 2هـ/8م⁽⁴⁾.

و يُذكر أن اسم التتار هو الأصل للقبائل المتفرعة عنهم جميعا من: مغول، ترك وسلاجقة، و أنهم شعب كبير من الأمة التركية يتكلمون اللغة التركية ، و منه تفرعت معظم بطونها، و هو مرادف للترك عند الفرنجة، حيث أنهم يُعدون قبائل الأتراك كافة تترا، ومنهم

¹ - أبي الحسن علي أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، الملقب بعز الدين، (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تح: ابي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1407هـ/1987م ، ج10، ص401.

² - العبر في خبر من غير، م س، ج3، ص140.

³ - فاروق عمر فوزي، م س، ج2 ، ص249.

⁴ - كارل برو كلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ، تر: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين ، ط5 ، بيروت، 1986م ، ص394.

العثمانيون و التركمان، و قد أطلق لفظ "تتر" من باب التوسع فشمل جميع المغول، و قد استبدلت كلمة تتر بعد جنكيز خان بكلمة مغل (mongol) ⁽¹⁾.

و أن جميع الفتوحات المغولية التي وقعت في القرن 7هـ/13م كان الفاتحون يسمون "التتر" في كل مكان نزلوا فيه ، سواء كان في الصين أو في البلاد الإسلامية، أو روسيا وغربي أوروبا⁽²⁾.

أما اليوم فتسمية تتر تطلق على تلك القبائل الموجودة في شرق روسيا و سيبيريا وشبه جزيرة القرم، أما تسمية المغول فهي تطلق الآن على القبائل الموجودة في الصين وأفغانستان⁽³⁾.

وهناك تفسير آخر حول تسمية المغول على أن تلك التسمية أطلقت على تلك العشائر التي انطوت تحت لواء زعيم إحدى قبائلهم كان يحمل ذلك الاسم، ثم بسط ذلك الزعيم سلطانه على سائر العشائر المتحالفة، ومن ثم أطلق عليهم اسم المغول من باب اطلاق اسم البعض على الكل ⁽⁴⁾.

وهذا الزعيم الذي وحدهم و سموا على اسمه كان ابن لأحد ملوك التتر في الأزمنة الغابرة و اسمه "النجاخان" الذي ولد له توأمان هما : "تتارخان" ، "مغل خان" و في زمن وقع

¹ - محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، المكتب الإسلامي، ط6، بيروت، 1421هـ / 2000م، ج2، ص329.

² - م.ن.

³ - م.ن.

⁴ - محمد حمودي، تاريخ العصور الوسطى، موقف اليهود من الصراع الإسلامي المغولي، دار الكتاب الحديث ، ط1 ، القاهرة ، 1432هـ/2011م ، ص65.

النزاع بينهما في عهد "إيلخان" ابن "مغل" ، و "منج خان" ابن "تتار خان" ، و انتهى النزاع بانتصار التتار و قتل "إيلخان" ملك المغل ، و من ثم أصبحت السيادة للتتار ، فعيشوا بعدها المغول مدة طويلة في الذل، إلا أن جمع هؤلاء جموعهم و اتحدوا و حاربوهم، و انتقموا منهم و ردوا حريتهم وسيادتهم و أصبح الملك متوارثا فيهم إلى زمن "يسوغاي بهار خان" والد جنكيز خان⁽¹⁾.

من خلال هذا التفسير الأخير يتضح أن قبيلة المغول سيطرت على التتار في مرحلة من مراحل تاريخها ، الأمر الذي جعل اسم المغول يطلق على الجميع، كما يتضح أن كلا المصطلحين مترابطين لذا يبدو عدم استطاعة المؤرخين التمييز بينهما.

2- موطنهم الأصلي وظروف معيشتهم .

يذكر ابن الأثير⁽²⁾ أن مساكنهم في جبال طمغاج⁽³⁾ (شمال الصين)، و بينها و بين بلاد الإسلام ما يزيد عن ستة أشهر، و بالتالي فقد نشأ المغول الأصليون في جوف آسيا، "شمال شرق آسيا"، بهضبة منغوليا شمال صحراء غوبي (في الصين حاليا)، و هي المنطقة الممتدة في أواسط آسيا جنوبي سيبيريا، و شمال التبت و غربي منشوريا، و شرقي التركستان بين جبال التاي غربا، و جبال خنجان شرقا⁽⁴⁾. و حسن إبراهيم حسن⁽⁵⁾ يذكر في

¹ - حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، العصر العباسي الثاني في الشرق و مصر و غرب الاندلس (447-656هـ / 1055-1258م)، دار الجيل، ط4، بيروت، 1416هـ / 1996م، ج4، ص125.

² - م س، ج10، ص401.

³ - جبال طمغاج: أو جبال صمغاج و هو اسم أطلقته الترك على شمال الصين و قد أخذوه من اليونانية ثم استعاره العرب من الترك، انظر: محمد حمودي، م س، ص56.

⁴ - فؤاد عبد المعطي الصياد، م س، ج1، ص62.

⁵ - م س، ج4، ص125.

هذا الجانب أن موطنهم يتحدد في الجهات الشمالية من بلاد الصين في الأراضي التي نبتت فيها أصول قبائل الهون والترك.

و إقليمهم هذا ذو أراضي واسعة تتقدم المياه في بعض جهاتها و تكون حاجزا منيعا بين الأقاليم الصينية الحارة و بين الأراضي الباردة في سيبيريا، و قد جعلت الظروف الجغرافية من هذا الإقليم جذبا تمتع الرياح الدافئة عن هذا الإقليم بفعل الجبال المحيطة به، و في الشتاء يصبح المناخ شديد البرودة فينتج عن هذه الظروف قلة للموارد المائية والزراعية⁽¹⁾.

هذه الحالة التي كان عليها إقليمهم و مناخ معيشتهم، جعل هذا النوع من البشر شعب يحي حياة رعوية وحياة بداءة، و الركض وراء الرزق و الحصول عليه بأي طريقة كانت حتى بالأساليب الوحشية، و كانوا ينتقلون و يرتحلون و لم يعرفوا الاستقرار و عفت نفوسهم عن الزراعة، و لذلك كانت حياتهم في الجبال التي بها العشب فإذا انعدم العشب، هاجروا الجبال، و كانوا يتنافسون على الأراضي العشبية، ويتخاصمون فيما بينهم و كثرت اغاراتهم للمناطق الخصبة المجاورة، بما فيهم الصين، لذا نجد الصينيون قد شيدوا بما يعرف⁽²⁾ بـ"صور الصين".⁽³⁾

¹ - محمود السيد، التتار و المغول، مؤسسة شباب الجامعة، دط، القاهرة، 2006، ص 96

² - محمود السيد، م س، ص 39.

³ - سور الصين: هو سور بناه الصينيون ليحموا بلادهم من خطر تلك القبائل المغولية و لوقف غاراتهم على الصينيين المجاورين لهم في الجنوب، أنظر محمود السيد، م س، ص 39.

كما أثر أيضا إقليمهم و مناخهم على طبيعتهم و جعلها بدائية، متميزة بالتخريب والعنف و الخشونة، معتمدين الغدر و الشر، محبين للحرب و السلب و النهب، إذ أنهم كلما احتكوا ببلد من البلدان اندفعوا إلى تدميرها و التفتن في القتل و الوحشية⁽¹⁾.

و خير دليل على ذلك ما ذكره ابن الأثير⁽²⁾ عنهم إذ يقول "أن هؤلاء لم يبقوا على أحد، بل يقتلون النساء و الرجال و الأطفال، و شقوا بطون الحوامل، و قتلوا الأجنة.

3- غذائهم، ملبسهم و مساكنهم:

بالإضافة إلى احترافهم في الوحشية و التدمير، تفننوا أيضا في رعي الأغنام و الصيد في وقت السلم، و كان غذائهم الرئيسي لحوم الخيل، و منتجات البانها⁽³⁾، بالإضافة إلى لحوم الكلاب و الذئاب و الثعالب و الفئران، و غذائهم قليل لاسيما في الشتاء، حيث نَقَسُوا عليهم الطبيعة، و تهزل فلا يكادون يحصلون على الطعام، و يُذكر أيضا أن من عاداتهم الوحشية أنهم يأكلون لحوم أعدائهم و يشربون دمائهم خصوصا أولئك الذين يخونونهم، أو يشتدون في مقاومتهم⁽⁴⁾.

و لباسهم كان بسيط يتفق و بيئتهم، و كانت في الغالب تصنع من صوف الغنم و وبر الإبل، و من جلود الحيوانات، و أما النساء فيلبسن الملابس الحريرية، التي يحصلون عليها

¹ - محمد حمودي، م س ، ص73.

² - م س، ج10، ص399.

³ - حسن ابراهيم حسن، م س، ج4، ص127.

⁴ - فؤاد عبد المعطي الصياد، م س، ج1 ، ص331.

عن طريق المقايضة مع التجار المسلمين⁽¹⁾، كما كانوا يسعون للربح من خلال تبادل الجلود والدواب مع أقربائهم الخطأ أو مع الترك و الصينيين⁽²⁾.

و أما عن مساكنهم فكانت في الأكواخ المصنوعة من الخشب و فروع الأشجار، هذا عندما يسكنوا في المناطق القريبة من الغابات، أما في مناطق السهوب فقد كانوا يقيمون بدل الأكواخ خيام من الصوف و اللباد، و تكون متينة مقاومة للرياح و في أعلاها فتحة يتصاعد منها الدخان و يتجدد منها الهواء⁽³⁾.

أما عن نظامهم فقد كان قبليا، أي أنهم مفرقين إلى قبائل لكل قبيلة أو قبيلتين رئيس، و لم يكن لهم حاكم يجمعهم كلهم، و كانوا يطيعون رؤسائهم و ينفذون أوامر "خان الختا"⁽⁴⁾ كل هذه الأوضاع كانت قبل " جنكيز خان " .

4- دياناتهم و معتقداتهم:

عرفت ديانتهم القديمة باسم "الشمانية" مذهب ديني بدائي، انتشر في سيبيريا الشرقية، وأقصى شمالي آسيا، و هي تعتمد على عبادة الطبيعة والأرواح المسلطة عليها⁽⁵⁾، فكانوا يعبدون الكواكب ويسجدون للشمس عند طلوعها، و يعبدون الآلهة، و الحيوانات الشريرة التي

¹ - فؤاد عبد المعطي الصياد، م س، ج 1 ، ص331.

² - م ن، ص332.

³ - م ن، ص332، 333.

⁴ - محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع، د.ط، بيروت، 1429هـ/2008م، ص248.

⁵ - محمد حمودي، م س، ص73 .

كانوا يقدمون لها القرابين، إضافة إلى عبادة أرواح أجدادهم القدامى لاعتبارها ذات سلطان عظيم.⁽¹⁾

و ديانتهم هذه هيمن عليها الشامان أي (الكاهن، الساحر، الطبيب)، و من كان يؤمن بهذه الديانة يعتمد عليهم و يلجأ إليهم باعتبار أنهم ذوي نفوذ و سلطان على أرواح الموتى كما يدعي على شفاء المرضى⁽²⁾، أيضاً انتشرت عندهم الإباحية حيث كانوا لا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها أكثر من رجل فإذا جاء الولد لا يعرف من والده⁽³⁾.

و على الرغم من انتشار هذه الديانة على نطاق واسع بين المغول، إلا أنهم عرفوا ديانات أخرى اعتمدتها بعض طوائفهم من بوذية ومسيحية و إسلام ما جعلهم بعيدين عن التعصب لمذهب دون آخر.⁽⁴⁾

و يذكر القلقشندي⁽⁵⁾ أن الظاهر من عموم مذاهبهم الإدانة بوحداية الله تعالى، وأنه خلق السموات و الأرض، و أنه يُحي و يُميت، و يُغني و يُفقر، و يعطي و يمنح، و هو على كل شيء قدير.

و من معتقداتهم أيضاً، دفن الموتى مع ممتلكاتهم مهما كانت قيمتها المادية، و أيضاً اعتقادهم بأن زعيمهم مفوض من السماء لحكم العالم شرقه و غربه، وبرزت فكرتهم هذه من

¹ - حسن ابراهيم حسن، م س، ج 4 ، ص 127.

² - محمد حمودي، م س، ص 69.

³ - ابن الأثير، م س، ج 10 ، ص 400.

⁴ - فؤاد عبد المعطي الصياد، م س، ج 1 ، ص 335.

⁵ - م س، ج 4 ، ص 310.

خلال خطاباتهم الموجهة للحُكام المسلمين، و اعتقادهم هذا ، كان المبرر وراء هجومهم على مختلف الدول⁽¹⁾.

¹ - محمد حمودي، م س ، ص72.

المبحث الثاني: المغول و جنكيز خان

1-التعريف بجنكيز خان:

اسمه الأول "تيموجين" "ثُمرجين" ولد سنة 549هـ/1155م، في منغوليا على الضفة اليمنى لنهر الأونون onon في اقليم دولون بلدق، وهذه المنطقة متواجدة اليوم في الأراضي الروسية.⁽¹⁾

و تسمى بهذا الاسم نسبة إلى أمير تغلب عليه والده، حوالي الوقت الذي وُلد فيه جنكيز خان، و معناه الصلب المتين⁽²⁾ و سلسلة نسبه هي " تيموجين (جنكيز خان) بن بيسوكي و يقال "يسوغي" بن بهادرين تومان برتيل خان بن تومينية بن بادستقر بن تيدوان ديوم بن بقابن مود نجة بن ألان قوا " كان من قبيلة أشهر قبائل المغل و أكبرهم.⁽³⁾

أما مصير الملك له فقد اختلفت الروايات: فالقلقشندي⁽⁴⁾ و ابن خلدون⁽⁵⁾ والسيوطي⁽⁶⁾ يذكرون أن مملكة الصين كانت مقسمة في القديم إلى ستة أجزاء كل جزء يتولاه خان (ملك) نيابة عن الخان الأعظم، بطمغاج قاعدة الصين و اسمه هو "الطرخان"، و من بين الخانات آنذاك "دوشي خان" زوج عمة جنكيزخان، و بوفاته حضر جنكيز خان إلى عمته معزياً، فبعثت إلى خانان كانا مجاوران لزوجها "كشلوخان" و "قلان" تلاطفهما في استقرار جنكيز،

¹ - فؤاد عبد المعطي الصياد، م س ، ج 1 ، ص 32.

² - عصام الدين عبد الرؤوف العقى، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، د.ط، القاهرة، دت، ص 196.

³ - ابن خلدون: عبد الرحمن، (ت 808هـ)، تاريخ ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر، و من عاصرهم من ذوي السلطان أكبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر، د.ط ، بيروت، 1431هـ/2000م، ج 5 ، ص 593، 594.

⁴ - القلقشندي، م س ، ج 4 ، ص 307.

⁵ - ابن خلدون، م س ، ج 5 ، ص 594.

⁶ - م س، ص 366.

فاستقر بذلك مكان زوجها، و اجتمع معهما و خلعوا طاعتهم لطرخان، و ب وفاة أحدهما خلفه ابنه، فتغلب عليه جنكيز و أخذ منه المُلْك، و بعدها توفي الخان الآخر، و استقل بذلك جنكيز بالْمُلْك و بدأت توسعاته.

أما الرواية الثانية هي أنه كان ملك من عظماء الملوك يدعى "أزبك خان"، تردد إليه جنكيز في صغره و خدمه، فرأى فيه النجابة فزاده في الارتقاء، ما أدى إلى حسد أقارب الملك على جنكيز، فوشوا به إلى الملك حتى غيروه عليه فدبر لقتله و علم بذلك خادمان له فأخبروا جنكيزخان، فقام هذا الأخير بجمع التتر و قَصَدَ الْمَلِك و قتله، فملك جنكيز خان، وقرب الخادمان له⁽¹⁾.

بالإضافة إلى هذا نجد فؤاد الصياد⁽²⁾ يروي عن الحدث أن والده كان رئيساً لقبيلة (قيات) إحدى القبائل المغولية، و كان جميع أهله مطيعين له، لما كان يتمتع بشجاعة، ومحاربة أقوام التتار و الخطا⁽³⁾ و أنه قد تزوج من نساء كثيرات، و كانت أكبرهن و أشهرهن "أولون فوجين" التي أنجبت له أربعة أولاد كان أكبرهم "تيموجين" ثم "جوجي قسار"، و"قاجيون"، و"تمو أتجكن".

¹ - ابن خلدون، م.س، ج5، ص594

² - م.س، ج1، ص44.

³ - الخطا: هو جنس من الترك بلادهم في متاخمة بلاد الصين، انظر: القلقشندي، م.س، ج4، ص481. و اسسوا دولتهم في إقليم تركستان في مستهل القرن 6هـ/12م، أنضر: النسوي محمد بن أحمد (ت 647هـ)، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تح: حافظ أحمد حميدي، دار الفكر، د.ط، القاهرة 1953م، ص36.

و ب وفاة والده ما بين 559-561 هـ / 1165-1167م، كان تيموجين في حوالي الحادية عشر من العمر، قد استغلت القبيلة صغره، و نفروا منه، فعاش عيشة بائسة⁽¹⁾ مع أسرته فقط، و لما كان هو الأكبر، كان لابد عليه أن يأخذ مكان الخان والده فصمم على إخضاع القبائل المجاورة، و انتصر عليهم⁽²⁾، و وحد القبائل المغولية في شرق آسيا، و ألف دولة بدوية عرفت بدولة "المغول" أو "التتار"، جاعلا "قراقوم"⁽³⁾ عاصمة له و لدولته.⁽⁴⁾

بموجب هذه الانجازات التي حققها جنكيز خان و بتمكنه من توحيد القبائل، رُفع مقامه إلى مركز الحكم المطلق لمنغوليا، ففي سنة 603 هـ / 1206م، تم تتويجه من قبل الشامان (القسيس الأعظم) كجنكيز خان أي الحاكم القوي و الأعظم.⁽⁵⁾

و بعد انجازاته، وصلت أنبائه إلى الأويغوريين و هم من الأقوام التركية الأكثر تمدنا، فقام ملكهم (أيدي قوت) سنة 606 هـ / 1209م، بالمسير بنفسه إلى جنكيز خان حاملا الهدايا، معلنا إتباعه له، و نتيجة اختلاط الشعبين، شاع الخط الأويغوري عند المغول، وأقبلوا على تعلمه و أمر جنكيز خان بتعليمه و الكتابة به جميع في سجلاتهم.⁽⁶⁾

¹ - عصام الدين الفقي، م س، ص 196.

² - محمود حمودي، م س، ص 51

³ - قراقوم: مدينة تقع في أقاصي بلاد الترك الشرقية، و معناها بالتركية: الرمل الأسود "قرا" في لغتهم تعني، الأسود، و "قم" تعني الرمل، انظر الفلقشندي، م س، ج 4، ص 480.

⁴ - م، ن.

⁵ - فؤاد عبد المعطي الصياد، م س، ج 1، ص 44.

⁶ - الجويني: علاء الدين عطا ملك، تاريخ فاتح العالم، جهان كشاي، تح: محمد بن عبد الوهاب القزويني، دار الكتب والوثائق القومية، ط 1، القاهرة، 2007، مج 1، ص 65

أما عن صفاته الخلقية فيُذكر أنه كان رجلاً طويلاً، قوي البنية، ضخم الجثة، ذو عينان كبيرتان، عريض الجبهة، طويل اللحية، في غاية الذكاء، والعقل والدهاء والهيبة⁽¹⁾.
و عن أولاده، يذكر ابن العبري⁽²⁾ و الجويني⁽³⁾: أنه كان له العديد من النساء والجواري، و أيضاً الأولاد، و كانت (بورتة فوجين) كبرى الزوجات، و تماشيا مع عادة هذا الشعب التي تنص على أن منزلة ابن الأب من الآباء تختلف باختلاف منزلة الأم، فإن كانت الأم ذو منزلة كان أولادها كذلك، و العكس، و كان جنكيز خان أربعة أولاد من هذه الزوجة، فاختص جنكيز خان كل واحدا منهم من الأعمال، إذ عهد لابنه "توشي" الأكبر أمور الصيد و الطرد الذي كان عندهم أمراً كبيراً، و اختار "لجغطاي" تنفيذ أحكام "الياسا" وهي مجموعة القوانين و التنظيمات التي أقرها جنكيز خان و كلف "اوكتاي" بتدبير إرادة الملك، لما كان يتصف به من حسن التدبير، و رجع لابنه "تولي" ترتيب الجيوش و تجهيز الجنود.

2-التنظيمات التي أقرها جنكيز خان:

أول ما قام به جنكيز خان أنه دعا إلى عقد المجلس التمثيلي الأول "قوريلتاي"، حيث رفع فيه علما يحمل صورة تسعة أذنان خيل بيضاء علامة على شرف مركزه كحاكم، ووضع الأسس الأولى لامبراطورية⁽⁴⁾ في شكل مجموعة قوانين و قواعد و عقوبات و ثبتها في

¹ - الذهبي: سير اعلام النبلاء، م س، ج22، ص243.

² - م س ، ص 395.

³ - م س ، مج 1 ، ص66.

⁴ - بروكلمان ، م س ، ص 395.

كتاب سماه (الياسا)، هدفه ترقية البلاد اجتماعيا، خلقيا، و تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم⁽¹⁾، فالمعنى لهذه التسمية هو القانون الاجتماعي حيث يذكر القلقشندي⁽²⁾ أن مصطلح "السياسة" المتداول اليوم هي كلمة مغولية أصلها (الياسا) حرفها أهل مصر و زادوا بأولها سينا فقالوا: سياسة، و ادخلوا الألف واللام.

و مما شرعه جنكيز خان في هذه الياسا حول الجانب الاجتماعي هو قتل الزاني والكاذب و أصحاب السحر و المتجسس على أحد، عكس الشامانية التي تميزت بالإباحية وقتل أي شخص تدخل بين متخاصمين و أعان احدهما على آخر، و أيضا قتل من بال على الرماد، أو في الماء، و من أطعم أسير قوهم أو كساه بغير إذن قومه، و أيضا من وجد هاربا أو أسيرا، و لم يرده قُتل، كما شرع كثف قوائم الحيوان، و يدلك قلبه إلى أن يموت ثم يؤكل لحمه، و من ذبح كذبيحة المسلمين ذبح، و منعهم من إدخال أيديهم في الماء بل يتناولوه بشيء⁽³⁾.

و أيضا كان جنكيز خان بعيد عن التعصب لعدم تقلده لأي دين أو مذهب، بعيد عن تفضيل أمة على أمة، و كانت عنده الأولوية للعلماء، و لزهاد كل طائفة، و اعتبر معاملتهم بالحسنى هي وسيلة لأجل التقرب إلى الحق، و ينظر المسلمين نظرة تقدير و يعز النصارى و البوذيين⁽⁴⁾.

¹ - محمود السيد، م، س، ص 177.

² - م س، ج 4، ص 311.

³ - م ن.

⁴ - الجويني، م س، مج 1، ص 66.

أمر بالقضاء على الألقاب التي كانت سائدة بين الملوك و غيرهم من كبار الدولة، والاكتفاء بلقب خان أو قآن، على من يجلس على عرشهم فقط، أما الباقون فيسمونهم بأسمائهم الحقيقية فقط (1).

كما أقاموا نزلا للبريد، و عينوا من يلزمه ليقف على أخبار بلاده، و أمر أن يعاقب كل شخص مهما كان مركزه و مكانته فإن خطأه و مخالفته لأحكام الياسا يتحمل مسؤوليتها (2). أما التنظيمات العسكرية التي أقرها بدءا بجيشه الخاص فبلغ عدده عشرة آلاف من أشداء الرجال، و كان ألفا من هؤلاء الرجال يؤلفون حرسه الخاص، و قد أخضع حرسه هذا لتدريب عنيف أساسه العدل، كان يشرف عليه بنفسه (3).

كما كان على كل شخص من الجيوش أن يعرض الآلات في يوم العرض، و إذا وجد فيها نقص عوقب صاحبها، و كانت نساؤهم و أفرادهم الماكثين في البيوت ملزمين بالقيام بمختلف الأعمال التي يقوم بها الرجل بنفسهم (4).

و كان جيشه يتكون من مسلمين و مشركين و يهود، إلا أنه لم يتعرض لأحد في ملته و دينه (5)، و كان كل قائد مسؤولا مسؤولية مطلقة في قيادة من في الجيوش، و كان جنكيز

¹ - الجويني، م س، مج 1، ص 66، 67.

² - الهمذاني: رشيد الدين فضل الله (ت 717هـ)، جامع التواريخ، تاريخ المغول، تر: محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوي، فؤاد عبد المعطي الصياد، دار إحياء الكتب العربية، دط، القاهرة، د. ت، ج 1، ص 72.

³ - محمود السيد، م س، ص 116.

⁴ - الهمذاني، م س، ج 1، ص 70.

⁵ - محمد حمودي، م س، ص 51.

خان المرجع الرئيسي لجميع القادة، و جعل شرط الترقية في الجيش إلى الكفاءة دون غيرها.⁽¹⁾

و اعتمد مع جنكيز خان طريقة إهدار معنويات العدو لتسهيل قتاله، و المباغنة بمهاجمة العدو من جميع الجهات في وقت واحد، و إذا تعذر السقوط للمدينة المحاصرة هاجموها و استولوا عليها قهرا⁽²⁾.

¹ - فؤاد عبد المعطي الصياد ، م س ، ج 1 ، ص 360.

² - م ن ، ص 367.

المبحث الثالث: غزوات المغول للعالم الإسلامي قبيل بغداد

توسعات جنكيز خان الأولية:

بعد جلوسه على العرش، بدأ جنكيز خان في توسيع دولته على حساب الأقاليم المجاورة، فكانت البداية بمهاجمته إمبراطورية سلالة "كن"⁽¹⁾ في شمالي الصين الواقعة جنوب مملكته حيث الخصب و الرخاء و الازدهار، و في سنة 611هـ/1214م عقد بين الفريقين صلح مهر بزواج جنكيز خان من إحدى الأميرات الصينيات.⁽²⁾

إلا أن الحرب لم تلبث أن نشبت بين جنكيز خان و الصينيين مرة أخرى سنة 612هـ/1215م، و استطاع أن يستولي على مساحات شاسعة من البلاد، حيث بسط نفوذه على بكين في 612هـ/1215م، و إلى جانب استحواد المغول على أراضي الصينيين فقد استفادوا منهم أيضا ماديا و أدبيا⁽³⁾.

إلا أن الخان لم يكد يغادر البلاد، إلا و استطاعت سلالة "كن" أن تستعيد حريتها من جديد، و استمروا قائمين إلا أن قضى أوكتاي ابن جنكيز خان على إمبراطوريتهم إلا أن

¹ - إمبراطورية كن: كانت الصين في فترة وجود المغول مقسمة بين اسرتين حاكمتين ، اسرة "كن"kin الذين كانوا يرأسون طوائف الجنس الأصفر، و يسيطرون على ممالك الخطأ أي الصين الشمالية، و اتخذوا في البدء " بكين"عاصمة لهم ثم غيروها إلى " كاي فونغ"، و المغول يطلقون على حكام هذه الأسرة لقب " التون خان " ، أما الأسرة الثانية فهي عاصمة لهم، انظر فؤاد عبد المعطي الصياد، م س ، ج 1 ، ص21.

² - بروكلمان، م س، ص395.

³ - عبد الرؤوف الفقي، م س ، ص197.

الخان لم يكد يغادر البلاد، إلا و استطاعت سلالة "كن" أن تستعيد حريتها من جديد، واستمروا قائمين إلا أن قضى أوكتاي ابن جنكيز خان على إمبراطوريتهم.⁽¹⁾

غزوات جنكيز خان في الدول الإسلامية قبل بغداد : يذكر ابن الأثير⁽²⁾ في أحداث 617هـ/1220م درجة الوحشية التي مارسها المغول على الدول الإسلامية قائلا : "لقد بقيت سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم رجلا و أؤخر أخرى، فمن يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، فلو قال قائل أن العالم منذ خلق الله آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا".

و الاحتكاك المغولي الإسلامي، كانت بداياته مع الدولة الخوارزمية⁽³⁾ و حكامها، ففي جمادى 490هـ/مارس 1097م، كانت بداية حكم الخوارزمية، حيث أن السلطان بركياروق بن ملك شاه⁽⁴⁾.

¹ - بروكلمان، م س، ص 395.

² - م س، ج 10، ص 309.

³ - الدولة الخوارزمية: هي دولة تركية الأصل، بدأت بالظهور، حينما بدأت الدولة السلجوقية في الاضمحلال، وهي تنسب إلى نوشتكين (470 - 490 هـ / 1077 - 1096م)، أحد الأتراك في بلاط ملكشاه كان يشغل وظيفة الساقى، و كان قد خدم السلطان، و درج في سلك الوظائف في أيامه، لما كان يتمتع به من العلم و الأدب ولقب بخوارزم شاه و بالتالي كان هو المؤسس الحقيقي للدولة الخوارزمية أنظر: ابن الأثير، م س، ج 9، ص 10. حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي و آثاره السياسية و الدينية و الاقتصادية و الثقافية، دار الفكر العربي، د.ط، بيروت، د.ت، ص 25، أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي و الفاطمي، دار النهضة العربية، د ط، بيروت، د ت، ص 198.

⁴ - بركياروق بن ملك شاه: ركن الدين أبو المظفر بن السلطان، ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي، و يلقب أيضا "بهاء الدين". تملك بعد أبيه، وناب عنه على خراسان أخوه السلطان سنجر، و قد كان شهما شجاعا كريما حليما، مدمنا على الخمر، تسلطن في الثالثة عشر من عمره، تميزت فترته بالحروب بينه و بين أخيه محمد، مات في ربيع الأول 498هـ، بعلة السل و البواسير ولما احتضر عهد لابنه ملك شاه و هو ذو خمسة سنوات، أنظر: سير أعلام النبلاء، م س، ج 19، ص 196.

ملك في هذه السنة بلاد خراسان⁽¹⁾، بعد مقتل عمه أرسلان أرغون بن الب أرسلان السلجوقي، صاحب مرو و بلخ (وهما مدينتان من أشهر مدن خراسان)، و نيسابو وترمز (على نهر جيحون)، و لقد كان جبارا، قتله غلام له، و كان بركيا روق قد جهز الجيش مع أخيه أحمد المعروف بالملك سنجر لقتال عمه هذا، فبلغهم مقتله.⁽²⁾

فسار بعدها بركياروق إلى نيسابور و ملكها، هي وسائر خراسان و أقام في بلخ سبعة أشهر ثم رجع و ترك بلاد خراسان إلى أخيه سنجر، وولى مدينة خوارزم لمحمد بن نوشتكين.⁽³⁾ و عند وفاته قام من بعده على خوارزم ابنه أئسز، و سار على سيرة أبيه، و قد قاد الجيوش أيام أبيه و قصد بلاد الأعداء و باشر الحروب فملك منقشلاع⁽⁴⁾ و قره السلطان سنجر و عظمه و استصحابه في أسفاره و حروبه، فنبتعت منه الشهامة.⁽⁵⁾ و في هذه الأثناء كان أئسز يعمل على توسيع رقعة دولته على حساب الدولة السلجوقية منتها فرصة تهديد الخطا للسلاجقة، إلا أن سنجر أحبط محاولته و هزمه ، لكنه استجمع قوته، و استولى على خراسان⁽⁶⁾.

¹ - خراسان: هي بلاد واسعة أول حدودها مما يلي: العراق، أذوار، قصبه جوين، بيهق، آخر حدودها مما يلي الهند، طخارستان، غزنة، سجستان، كرمان، وليس ذلك منها، وإنما هي أطراف حدودها فقط، أنظر ياقوت الحموي، (ت626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، د ط، بيروت، 1397م/1977م، ج2، ص350.

² - ابن كثير، م س، ج10، ص161.

³ - ابن خلدون، م س، ج5، ص22.

⁴ - منقشلاع: هي قلعة حصينة في آخر حدود خوارزم و سقسين و نواحي الروس، قرب البحر الذي يصب فيه جيحون، وهو بحر طبرستان ، أنظر: ياقوت الحموي، م س، ج5، ص215.

⁵ - ابن الأثير ، م س، ج9، ص11.

⁶ - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، م س، ص198.

و بذلك استطاع الجلوس على عرش سنجر 536هـ / 1141م و الاستيلاء على ما يملكه، و قطع الخطبة له، لكن سنجر استطاع هو الآخر أن يسترد إقليم خراسان من في 538هـ / 1143م، مع التعهد بالاعتراف بسيادة الدولة السلجوقية⁽¹⁾، ففي تلك الأثناء أخذت الدولة الخوارزمية تزداد قوة بينما أخذت الدولة السلجوقية في الضعف، بعد وفاة سنجر⁽²⁾.

و بذلك امتد نفوذ الخوارزميين على البلاد التابعة للسلجقة، و استطاع السلطان الخوارزمي تكش بن أتسز⁽³⁾ هزم آخر سلاطين السلجقة، و الاستيلاء على ملكهم في العراق، و الاستيلاء على أصفهان و الري⁽⁴⁾.

بوفاة تكش خلفه ابنه علاء الدين⁽⁵⁾، الذي سار على سيرة والده، ووسع أمور دولته، وملك حتى بلاد الخطا، و بلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساعها في عهده، إذ امتدت من العراق العربي غربا إلى حدود الهند شرقا، و من شمال بحر قزوين و بحر آراك شمالا إلى

¹ - الدولة السلجوقية: ينتسبون إلى آل سلجوق إحدى رؤساء الأتراك، كانوا يسكنون بلاد ما وراء النهر، في مكان يبعد عن بخارى بعشرين فرسخا (أربع أميال) دخلوا بغداد في 447هـ / 1055م ، في عهد طغرليك بن ارسلان شاه الذي قتل في 590هـ / 1093م، أنضر: ابن الأثير، م س، ج10، ص233، 232.

² - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، م س، ص198.

³ - تكش بن اتسز: أو تنتش أخو السلطان ملك شاه صاحب خوارزم ، و بعض خراسان و الري، كان حسن السيرة، عادلا عارفا بالموسيقى، فقيها على المذهب الحنفي، توفي في 20 رمضان 596هـ، و خلفه ولده علاء الدين، أنظر: ابن الأثير، م س، ج10، ص266، ابن كثير، م س، ج16، ص694. الذهبي، سير اعلام النبلاء م س، ج19، ص84.

⁴ - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، م س، ص198.

⁵ - السلطان علاء الدين: مدة حكمه دامت إحدى و عشرين سنة (596هـ - 617هـ / 1199-1219م)، كان فاضلا عالما بالفقه و الأصول و غيرهما، مكرما للعلماء، كثير مجالستهم، صبورا، شهد أول صراع بين القوى الإسلامية و بين المغول، أنظر: ابن الأثير، م س، ج10، ص407، النسوي، م س، ص35.

الخليج الفارسي و المحيط الهندي جنوباً، و هذا التوسع هو ما جعل الدولة الخوارزمية مجاورة لدولة المغول (1).

ومن هنا بدأ الاحتكاك بين الدولتين، إلا أنه هناك من يرجع بداية الاحتكاك إلى تحريضات الخليفة العباسي الناصر (2) لهم و الاستعانة بهم، حتى يشغلوا عنه علاء الدين ويتقي شره، و كان بذلك هو من أطمعهم في البلاد (3)، على اعتبار أن علاء الدين كان يطمع في نزع السلطة من يد الخليفة، فكتب هذا الأخير لجنكيز خان يحثه على العبور إلى البلاد الإسلامية و أنه سيتعاون معه ضد الخوارزميين، ما إضطر علاء الدين للتراجع بسبب ضغط المغول (4).

و هناك رأي آخر حول سبب الغزو المغولي للعالم الإسلامي ألا و هو تحريض الصليبيين لهم الذين خشوا أن يسلم التتار باحتكاكهم مع المسلمين، كما حدث مع أبناء عمومته من الترك: سلاجقة و غُز، و إذا ما حدث ذلك فإن المسلمين يزدادون قوة إلى قوتهم، و يُخشى على أوروبا و ليس على الصليبيين في بلاد الشام فقط، لذا كان هدفهم العمل على جعل التتار يقاتلون المسلمين، مرسلين بذلك الرسل للتتار لتحسين ديار المسلمين

¹- عصام الدين الفقي، م س، ص 198.

²- الخليفة الناصر: حكم الدولة العباسية فترة 575-623هـ/1177-1225م، و هي أطول فترة، بعد وفاة والده المستضيء، أنظر: ابن كثير: م س، ج 16، ص 542.

³- ابن الأثير، م س، ج 10، ص 252.

⁴- محمد سهيل طقوش، م س، ص 248.

لهم ، و تحريضهم على غزوها و امتلاكها ، وهذا ما دفع المغول للانطلاق نحو البلدان الإسلامية ، و لم يبقى سوى إيجاد مبرر لغزوهم ، يكون كدافع مباشر لذلك ⁽¹⁾ .

إلا أن ابن الأثير ⁽²⁾ يذكر أن السبب المباشر للغزو المغولي على العالم الإسلامي بدءا بالخوارزميون ⁽³⁾ هو أن جنكيز خان قد فارق بلاده متجها إلى نواحي تركستان، وسير جماعة من التجار و الأتراك إلى بلاد ما وراء النهر ليشتروا له ثيابا للكسوة ، فوصلوا إلى مدينة من بلاد الترك تسمى "أوترار " آخر ولاية خوارزمشاه، و كان له نائب هناك.

فلما وردت هذه الطائفة على "غاير خان" أمير أوترار، طمع فيما معهم من الأموال فطالع السلطان في أمرهم و حسن له إبادتهم و اقتناء أموالهم، فأذن لهم في ذلك ⁽⁴⁾ إلا أن ابن خلدون ⁽⁵⁾ يذكر في هذا السياق أن أمير أوترار أخبر السلطان عنهم على أساس أنهم جواسيس و ليسوا بتجار، فأمره بالاحتياط عليهم فقتلهم خفية و أخذ أموالهم و بلغ هذا الخبر جنكيز خان فبعث للسلطان يتهدده، فقتل السلطان رسله أولئك الذين بعثهم، فبلغ هذا الخبر جنكيز خان الذي سار مع عساكره باتجاههم.

و في تلك الأثناء أرسل خوارزمشاه جواسيس لجنكيز خان، و بعودتهم أخبروه بأنهم ذو عدد لا يمكن إحصاءه، و أنهم يعملون سلاحهم بأيديهم ، فندم خوارزم على فعلته و احضر

¹-محمود شاكر، م س، ج 2 ، ص328

²- م س، ج 10، ص401.

³- الخوارزميون: هم من أصل تركي، و يدينون بالاسلام ، كانوا ذوي ثقافة عربية، و فارسية، أنظر: عبد المعطي الصياد، م س، ج 1، ص18.

⁴- ابن العبري ، م س ، ص401.

⁵- م س، ج 5 ، ص:131.

الفقيه الشهاب الجيوفي، طالبا رأيه حول أن خصمهم قد تحرك من ناحية الترك نحونا، فأشار إليه بجمع العساكر، و طلب المساعدة من المسلمين، ثم الذهاب إلى جانب سيحون النهر الكبير الفاصل بين بلاد الترك و بلاد الإسلام⁽¹⁾.

فجمع خوارزم شاه أمراء و أرباب مشورته ، الذين أشاروا عليه بترك العدو يعبر نهر سيحون و يسلكون الطريق إلينا في تلك الأثناء كان جنكيز خان قدسار إلى تركستان، مالكا كاشغار⁽²⁾، وبلاساغون⁽³⁾، و مضى خوارزمشاه أيضا، و قضى مسيرة أربعة أشهر وصولا إلى بيوتهم و أوقعوا بأهلها⁽⁴⁾.

ففي ذلك الوقت الذي هزم خوارزمشاه أهل المغول، كان جنكيز خان و جنده غائبين عن البلاد، منشغلين بمحاربة أحد الملوك الأتراك " كشلوخان"، و بعودة خوارزمشاه و من معه لقاهم في الطريق ابن جنكيز خان و اقتتلوا مدة ثلاثة أيام، وقتل من الطرفين أعداد كبيرة، دون انهزام أي طرف، و في الليلة الرابعة افترقوا ، سائمين للقتال عائدين إلى أماكنهم فالكفار عادوا إلى ملكهم، و المسلمون رجعوا إلى بخارى (أعظم مدن ما وراء النهر) واستعد

¹ - ابن الأثير، م س، ج 10 ، ص 402.

² - كاشغار: مدينة و قرى و رساتيق، و هي وسط بلاد الترك و أهلها مسلمون، أنظر: المقرئزي: تقي الدين ابي العباس أحمد بن علي عبد القادر العبيدي، (ت 845هـ) ، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418-1997م، ج 1، ص 332.

³ - بلاساغون: بلد عظيم في ثغور الترك، وراء نهر سيحون، قريب من كاشغر، أنظر: ياقوت الحموي، م س، ج 1، ص 146، عبد السلام محمد هارون، معجم مقيدات ابن خلكان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1407هـ/1987م، ص 55.

⁴ - ابن الأثير، م س، ج 10، ص 403.

خوارزمشاه للحصار خوفا منهم ، فبعد خمسة أشهر من وصول خوارزمشاه إلى بخارى، وصل جنكيز خان إليها و حاصروها و قاتلوا أهلها⁽¹⁾.

و بعد حصار و قتال دام ثلاثة أيام، فر الخوارزميين إلى الخراسان، فضعف أهل البلاد و طلبوا الأمان، فأعطوهم ذلك، وفتحوا أبواب المدينة يوم الثلاثاء 4 ذي الحجة 616هـ/ديسمبر 1218م، و دخل جنكيز خان بنفسه⁽²⁾.

و في ربيع الأول 616 هـ /1218م، نزل جنكيز خان على سمر قند (واقعة خلف نهر جيحون)، ففتحها و دخلها⁽³⁾ و لما ملكوها سير جنكيز خان 20.000 فارس في طلب خوارزمشاه، و هذه الطائفة التي سارت اسمها التتر المغربة، لأنها سارت نحو الغرب من خراسان، فساروا وقصدوا موضعا يسمى "قنچ آب" و معناه خمس مياه، فوصلوا إليه، وعبروا نهر جيحون ووصلوا حيث خوارزمشاه، فرحل هذا الأخير مع نفر من خاصته قاصدا نيسابور، فلققه التتر، ثم رحل إلى مازندران (اسم ولاية في طبرستان)، واصلا إلى همذان، فلقوه فعاد أدراجه إلى مازندران وصولا إلى مرسى من بحر طبرستان حيث توجد له قلعة هناك فنزل بها⁽⁴⁾ و بقي بها إلى أن توفي سنة 617 هـ /1219م، و قيل مرض بالاسهال و طلب الدواء فأعوزه الخبر و مات، و خلفه ابنه جلال الدين⁽⁵⁾.

¹ - ابن الأثير، م س، ج 10، ص 403، ابن خلدون، م س، ج 5، ص 131.

² - خالد عزام، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العباسي، دار أسامة، د.ط، الأردن، عمان، 2009م، ص 287.

³ - ابن العبري، م س، ص 409-410.

⁴ - م ن، ص 407-408.

⁵ - الذهبي، العبر في خير من غير، م س، ج 3، ص 175.

و بعد ما يئس المغول من ملاحقة خوارزمشاه عند نزوله بالبحيرة رجعوا إلى مازندران و ملكوها مع حصانتها، و بفراغهم منها ساروا نحو الري واصلين سنة 617هـ / 1219م فملكوها بعدما نهبوها، ثم انطلقوا إلى همذان، فخرج لهم رئيسها مع حمل من الأموال والثياب و الدواب، طالبا الأمان، فأمنوهم ثم فارقوها ذاهبين إلى زنجان⁽¹⁾، ففعلوا بها فعلتهم، وصولاً إلى قزوین فدخلوها عنوة، و قُتل من الفريقين ما لا يحصى ثم فارقوها⁽²⁾.

لحق الشتاء على المغول و هم في همذان و بلد الجبل، ولما رأوه من البرودة الشديدة و الثلوج، ساروا إلى أذربيجان، مدمرين القرى و المدن الصغيرة التي مروا عليها وصولاً إلى تبريز⁽³⁾، التي كان بها صاحب أذربيجان "أوزبك بن البهلوان" إلا أنه لم يخرج لهم، ولم يقاتلهم لانشغاله بالشرب، وإنما أرسل إليهم الهدايا ليصالحهم بها فساروا من عنده يريدون ساحل البحر لأنه يكون قليل البرد ليشتموا عليه، والمراعي به كثيرة لأجل دوابهم، فوصلوا إلى موفان⁽⁴⁾ (و هي ولاية فيها قرى و مروج كثيرة بأذربيجان)⁽⁵⁾.

ثم ساروا إلى بلاد الكرج (بين همذان و اصبهان)، في ذي القعدة 617هـ / نوفمبر 1219م، فجاء إليهم جمع كبير من أهل البلاد و قاتلوهم إلا أنهم انهزموا⁽⁶⁾، و في

¹ - زنجان: بلاد كبيرة من نواحي الجبال بين أذربيجان و الجبل، أنظر: ياقوت الحموي، م س، ج3، ص152، الذهبي الامصار نوات الآثار، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، بيروت، 1405هـ/1985م، ص109

² - ابن الأثير م س، ج10، ص409-410.

³ - تبريز من أشهر مدن أذربيجان، ذات أساور محكمة، أنظر: ياقوت الحموي، م س، ج2، ص13.

⁴ - ياقوت الحموي، م س، ج5، ص225.

⁵ - ابن الأثير، م س، ج10، ص410.

⁶ - ابن خلدون، م س، ج5، ص133.

صفر 615هـ / فيفري 1220م، استطاعوا أن يملكوا مراغة (من أعظم بلاد أذربيجان)⁽¹⁾ ثم رحلوا عنها نحو مدينة إربل⁽²⁾، ووجدوا بها صاحبها: مظفر الدين الذي أرسل في طلب إلى صاحب الموصل بدر الدين أن يمدّه بالعساكر، و إلى الخليفة الناصر أيضا حتى يمدّه هو الآخر بالعون ليدافع عن العراق، و لما علم المغول بهذه التجهيزات امتنعوا عن لقائهم⁽³⁾.
ثم قصدوا دريندشروان⁽⁴⁾ و حاصروا مدينة شماخي⁽⁵⁾، وقاتلوا أهلها مدة ثلاث أيام وملكوها و نهبوا ثم عبروا دريند شروان التي فيها طوائف من الترك و اللان⁽⁶⁾، و اللکز⁽⁷⁾، و أوقعوا بتلك الطوائف ثم ساروا ووصلوا إلى مدينة سوداق، فهي مدينة التي منها مادنتهم، وفيها تجارتهم فملكوها⁽⁸⁾.

و من ثم ساروا إلى بلاد الروس (متاخمة للصقالبة و الترك)، في سنة 620هـ/1222م ولما علم أهل البلاد بذلك جهزوا أنفسهم، فالتقا الطرفان، وانهزم الروس و دخل التتار البلاد مخربين و ناهبين، ثم عادوا قاصدين بلاد بلغار (مدينة الصقالبة)، أواخر سنة 620هـ/1222م،

¹ - ابن الكثير، م س، ج 17، ص 106.

² - إربل: مدينة كبيرة و قلعة حصينة، في طرف من المدينة، بين الزابيين، بينها و بين الموصل يومين، و هي من أعمالهم، أنظر: ياقوت الحموي، م س، ج 1، ص 138.

³ - ابن الأثير، م س، ج 10، ص 411، ابن خلدون، م س، ج 5، ص 133.

⁴ - دريند شروان: مدينة من نواحي باب الأبواب، أنظر: ياقوت الحموي، م س، ج 3، ص 339.

⁵ - شماخي: هي قسبة بلاد شروان في طرف إيران، أنظر ياقوت الحموي، م س، ج 3، ص 361.

⁶ - اللان: بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب، وهو على بحر طبرستان أنظر: ياقوت الحموي، م س، ج 5، ص 9.

⁷ - اللکز: بليدة خلف الدريند تتاخم خزران، سميت باسم بانيتها، أنظر: ياقوت الحموي، م س، ج 5، ص 22.

⁸ - ابن الأثير، م س، ج 10، ص 417-418، ابن خلدون، م س، ج 5، ص 134.

و لما علم بهم أهل بلغار وضعوا لهم كمين و قتلوا الكثير منهم ، فعادوا أدرجهم إلى ملكهم⁽¹⁾.
و في الفترة التي بعث فيها جنكيز خان التتار للحاق خوارزمشاه، بعث جيشا آخر إلى خراسان وآخر إلى خوارزم في 617هـ/1219م، فقصده هذا الجيش الأخير مدينة بلخ، فطلب أهلها الأمان فأمنوهم، جاعلين شحنة لهم بها، ثم ساروا إلى الزوزان⁽²⁾ و سمنيد، أندخوي و قاريات و ملوكهم و جعلوا بهم ولاية لهم، إلا أن وصلوا إلى الطالقان⁽³⁾، فحاصروها مدة ستة أشهر يقاتلون ليلا نهارا، و لم يجدي ذلك نفعا فقد عجز عنها المغول ما دفعهم للاستجداد بملكهم جنكيز خان، الذي تمكن منها بعد مسيره إليها، ثم سير بعدها مجموعة من التتر مع أبنائه إلى مرو(من أشهر مدن خراسان وقصبتها)، و اقتتلوا مع أهلها ثم طلب منهم أميرها الأمان فأمنوه فخرج إليهم إلا أنهم خدعوه و قاتلوهم⁽⁴⁾.
و بعدها ساروا إلى نيسا بور، و حاصروها خمسة أيام إلى أن ملكوها، بعدها ساروا إلى هراة، أحصن البلاد و حاصروها عشرة أيام إلى أن ملكوها و جعلوا منهم شحنة ثم رجعوا إلى جنكيز خان بعد انتهائهم من خراسان⁽⁵⁾.

أما جيش خوارزم فقد سير عساكره مع ابنه جغتاي، فساروا إليها و حاصروها خمسة أشهر، إلى أن ملكوها، وعادوا إلى جنكيز خان بالطالقان⁽¹⁾.

¹ - ابن الأثير، م س، ج10، ص418.

² - الزوزان: تقع بين جبال أرمينية بين اخلاط و أنريجان، دياربكر و الموصل، و أهلها آرمين و فيها طوائف من الأكراد، أنظر: ياقوت الحموي، م س، ج3، ص158.

³ - الطالقان: بلدتان أحدهما بخراسان بين مرو و الروذ و بلخ، و هي أكبر مدينة بطخارستان، و هي في مستوى من الأرض، أنظر: ياقوت الحموي، م س، ج4، ص6.

⁴ - ابن الأثير، م س، ج10، ص419-420.

⁵ - ابن خلدون، م س، ج5، ص137.

فجهز جيشا لاحتلال غزنة فلقاهم جلال الدين خوارزمشاه، و قاتلهم إلى أن هزمهم، فثار أهل هراة على شحنة المغول هناك وقتلوه، فلما عاد التتر إليهم دخلوها عنوة و قتلوا ونهبوا ثم عادوا إلى جنكيز خان بالطالقان⁽²⁾.

والتقى جيش جنكيز خان مع جيش جلال الدين سنة 618هـ/1221م، في سهول بيروان في الشمال الشرقي من غزنة، حيث تمكن جلال الدين من الانتصار، إلا أن انتصاره كان مؤقتا، حيث أن فتنة قد حدثت، قسمت جيشه، و لم يعد في استطاعته أن يواصل الصراع، فانسحب إلى السهل غرب نهر السند (يقع بين بلاد الهند و كرمان وسجستان) عبورا إلى نهر الهند، و في هذه الأثناء كان المغول يعيثون فسادا باقليم غزنة، ثم وجه جنكيز خان جنودا نحو الري و همذان بعدما عُمرَا فقتلوا من فيها و خربوها.⁽³⁾

و في سنة 622هـ/1225م، عاد جنكيز خان إلى بلاده، في الأثناء التي عاد فيها جلال الدين أيضا إلى بلاده، و بسط نفوذه على أقاليم: خوارزم، غزنة، كرمان، فارس خراسان، مازندران، متجها نحو الخلافة العباسية سنة 622هـ /1225م، إلا أنه لم يتمكن فاتجه نحو أذربيجان و جورجيا في نفس السنة ، واستولى على تفليس⁽⁴⁾ و تبريز.⁽⁵⁾

¹ - محمود شاکر، م س، ج2، ص331-332.

² - ابن الأثير، م س ، ج10، ص422.

³ - النسوي، م س، ص16-17.

⁴ - تفليس: بلد بأرمينية الأولى، و يقال بأران، و هي قصبة ناحية جزر آن قرب باب الأبواب، و هي مدينة قديمة أزلية، أنظر: ياقوت الحموي، م س، ج2، ص35.

⁵ - محمود شاکر، م س، ج2، ص332.

و في رمضان سنة 624هـ/1227م، توفي جنكيز خان عن عمر ستين سنة، و مدة ملكه نحو خمس وعشرين سنة ⁽¹⁾، و بوفاته أصبح جغتاي خاقان إمبراطورية المغول 624-639هـ /1227-1242م ⁽²⁾.

و كانت أولى انجازات الخان الجديد أنه تعقب إمبراطورية كين حتى دانت كلها لسلطانهم، و ساعدهم في ذلك أسرة (سنج) التي كانت على عرش الإمبراطورية في الجنوب. ⁽³⁾

كما كان هذا الخان العظيم يضع نصب عينه الاحتفاظ بسيادته في خوارزم، و أنه لابد أن يتحرك خاصة بعد عودة جلال الدين من الهند، و تمكتوا من التغلب على جلال الدين في 628هـ /1231م ⁽⁴⁾، حيث بعث جيشا من 30.000 مقاتل إلى مملكة خوارزم بقيادة قائدين مشهورين، وكان مهمهم هو مطاردة جلال الدين ⁽⁵⁾، إذ التقا الجيشان في الري وانهزم جلال الدين، واستولوا على الري و همذان، وواصلوا الزحف إلى أذربيجان فاستجد سلطانها جلال الدين بأتابكة ⁽⁶⁾ ديار بكر ⁽¹⁾ و الجزيرة، إلا أنهم لم يعملوا على نجدته، فأخذ يتنقل من

¹ - ابن العبري، م س، ص 426.

² - القلقشندي، م س، ج 4، ص 309.

³ - محمود شاكر، م س، ج 2، ص 333.

⁴ - عبد الرؤوف الفقي، م س، ص 200.

⁵ - النسوي، م س، ص 20.

⁶ - الأتابكة: هو نظام تميز به العصر السلجوقي معناه "الأمير الوالد" أو "أبو الأمير" ويطلق على رجال الدولة و قواد الجيوش، أنظر: النسوي، م س، ص 54.

من بلد لآخر و المغول يتعقبونه حتى بلغ مدينة آمد في أعالي نهر دجلة، فاشتبك معهم في معركة على أبواب هذه المدينة، و عبثوا في المدينة فساداً⁽²⁾، ويذكر ابن الأثير⁽³⁾ عن جلال الدين "أننا لا نعلم هل قتل أو اختفى و لم يظهر نفسه خوفاً من التتر أو فارق البلاد إلى غيرها، إلا أن النسوي⁽⁴⁾ يذكر أنه من خوفه لجأ إلى جبال كردستان حيث قتله أحد الأكراد الفلاحين هناك، في منتصف شوال 628هـ/12م، و هكذا كانت خاتمة آخر سلطان خوارزمي، و وضع بذلك المغول أيديهم على أقاليم الدولة الخوارزمية، ولم يعد هناك ما يمنعهم من غزو بغداد و لا حاجز يقف في وجوههم.

و في سنة 634هـ /1237م، اتجهت فرقة من المغول إلى أربيل، وحاصروها إلى أن فتحوها عنوة.⁽⁵⁾

و في 638هـ/1241م، كتب ملك التتار إلى ملوك الإسلام يدعوهم إلى طاعته ويأمرهم بتخريب أسوار بلدانهم، في الوقت الذي جهز فيه حملة بقيادة هولاكو للاتجاه نحو الغرب و دخول فارس و العراق والشام، و لما تم إعداد الحملة انطلق إلى ما وراء النهر،

¹ - ديار بكر: بلاد كبيرة تنسب إلى مؤسسها بكر وائل، حدودها من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين، ومنه

كيف وآمد و ميفارقين، أنظر: ياقوت الحموي، م س، ج2، ص494.

² - عبد الرؤوف الفقي، م س، ص200.

³ - م س، ج10، ص628.

⁴ - م س، ص10، 20، 21.

⁵ - فؤاد عبد المعطي الصياد، م س، ج1، ص218.

فجاءه الأمراء يعلنون طاعتهم، ثم سار إلى فارس و طلب من الأمراء معاونته للقضاء على
الأسماعليه⁽¹⁾.

واستولوا على قلعة الألموت⁽²⁾، وقتل سيدها "ركن الدين خوارزمشاه"، و اتخذ هولاء
مدينة همذان مقرا لقيادته⁽³⁾.

¹ - الإسماعيلية: سميت هذه الطائفة بذلك الاسم لان أتباعها كانوا يدينون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، و عرفوا
بالباطنية لأنهم يبتنون عكس ما يظهرون، و سمووا بالملاحدة لأن مذهبهم يقوم على الإلحاد، و أيضا بالحشيشية
لإعتمادهم مادة مخدرة في نشر مذهبهم، أنظر: حافظ أحمد حمدي، م س، ص 115. و هي إحدى فرق الشيعة، واستطاعوا
تكوين قوة كبيرة من الأتباع في إيران، و استولوا على قلعة الألموت سنة 483هـ/1097، انظر حسن أحمد محمود، أحمد
ابراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط5، بيروت، د.ت، ص 595.

² - الألموت: ناحية جبلية من توابع قزوین تقع في الشمال الشرقي للمدينة، يحدها شمالا و شرقا تنكابن وجنوبا، و الجنوب
الشرقي الطالقان، و غربا رودبار و قزوین، أنظر الجويني، م س، مج 3، ص 331.

³ - محمود شاکر، م س، ج 2، ص 336، 337.

الفصل الثاني: نهاية الحكم العباسي في بغداد

المبحث الأول: أوضاع الخلافة العباسية والخليفة قبيل الغزو

المغولي لبغداد

المبحث الثاني: دور مؤيد الدين ابن العلقمي في الغزو المغولي

لبغداد

المبحث الثالث: هولاكو يزيل الخلافة العباسية في بغداد

المبحث الأول: أوضاع الخلافة العباسية والخليفة قبيل الغزو المغولي لبغداد

قبل التحدث عن حال الخلافة و الخليفة، نذكر أولاً أن دول العالم الإسلامي في الفترة قبيل الغزو المغولي لبغداد، كانت هي الأخرى تعاني من غزوات هذه الأجناس، إضافة إلى غزوات الإفرنج و الصليبيين، بالإضافة إلى ذلك إنتشار الحقد والكراهية بينهم.

حيث نجد خوارزم شاه قد انصرف لمحاربة أمراء المسلمين بدل المغول وحقد على الخلافة العباسية معتبرها مسؤولة عن وفاة والده، وكذلك الأيوبيون في مصر والشام، فلقد اشتغلوا بالمنازعات والحروب فيما بينهم بعد وفاة الملك "أخو صلاح الدين" 615هـ/1218م، في الوقت الذي كانت فيه الكيانات الإفرنجية تهددهم، والحملة الصليبية مثل حملة: فردريك الثاني؛ إمبراطور ألمانيا إلى الشام سنة 629هـ/1231م⁽¹⁾ وغيرها، فهذه الحالة التي تعيشها الدول الإسلامية هي الأخرى كانت من عوامل ودوافع تسهيل الغزو المغولي لبغداد، كون أن المغول على علم أن بغداد لم تحصل على يد المساعدة من جيرانها ومن مختلف الدول الإسلامية، نتيجة الحالة المزرية التي يعيشونها.

أما عن حال الخلافة العباسية، فقد كانت هي الأخرى تعاني من الضعف الذي انتابها قبل حملة 'هولاكو' بمدة طويلة؛ بسبب سيطرة الفرس أولاً، ثم الأتراك

¹ - فاروق عمر فوزي، م.س، ج2، ص250.

الذين طغوا على سلطان الخليفة، هذا بالإضافة إلى انصراف العباسيين عن العرب واعتمادهم الموالى أكثر منهم. ما أطمع الولاة الأمصار في الاستقلال بولايتهم، والاكتفاء بالولاء الصوري للخليفة فقط. هذا ما دفع إلى تفكك الروابط التي كانت تربط الحكومة المركزية بالأمصار في العصور، و عليها نشأت دول عديدة وإمارات مستقلة في قلب الخلافة، و على أطراف مناطقها، فلقد كان أولئك الموالى يستوون و الوزراء و رؤساء العسكر في أنهم راشون و مرتشون⁽¹⁾.

هذا بالإضافة إلى ثورات العلويين المتتابعة، و التي أثقلت كاهل الخلافة حيث أخذت منها المال و الرجال، إلى جانب عوامل عدم الاستقرار و التنافس القائم على العرش، و سوء الحالة الاجتماعية، و الانغماس في الترف و الشراب والغناء و اللهو، وما رافقه من نظام الحريم و الخصيان و اقتناء الجوارى و الغلمان وتكاثر الأبناء و البنات المولودين من أمهات مختلفات في بلاط الخلافة، كل هذه الظروف و الأحوال التي آلت إليها الخلافة، فسحت المجال لإنحراف الرجال وذهاب المروءة منهم، والتحاسد وإثارة الفتن وإشاعة الفساد في الدولة، و القضاء على النشاط داخل البيت المالك مما أدى بها إلى إنسلاخ الأطراف عنها، حتى أنه عندما اقتربت نهايتها لم يعد يتجاوز نفوذها العراق و خورستان⁽²⁾.

¹ - عبد المعطي الصياد، م.س، ج1، ص249.

² - م.ن، ص250.

و أحوال الخلافة هذه مرتبطة ارتباطاً وثيقاً دون أي شك بأحوال الخليفة إذ يُذكر أن المسؤولية لهذه الحالة تعود بالدرجة الأولى إلى الخلفاء الذين تعاقبوا على عرش بغداد، خاصة المتأخرين منهم، بدءاً بالناصر⁽¹⁾، الظاهر⁽²⁾، المستنصر والمستعصم⁽³⁾، إلا أنه هناك من يذكر أن الخطر بدأ قبل هؤلاء و يرجع إلى المعتصم⁽⁴⁾ الذي فتح الباب للأتراك⁽⁵⁾.

¹ - الناصر: ولد يوم الاثنين 10 رجب 553هـ، وهو الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء، بويع بعد وفاة والده في 1 ذي القعدة 575هـ، في عمر 23 سنة، وهو أطول بني العباس خلافة، توفي سنة 622هـ، عن عمر تقريبا سبعين سنة، ومدة خلافته ستة وأربعون سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام. أنظر: ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي، (ت 874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ج6، ص261.

² - الظاهر: هو الظاهر بأمر الله، ولد 571هـ، دامت خلافته سبعة عشر شهراً وأربعة عشرة يوماً، كان عادلاً، توفي في 13 رجب 623هـ، عن عمر إثنين وخمسون سنة. أنظر: ابن الأثير، م.س، ج10، ص453، الذهبي، العبر في خبر من غبر، م.س، ج3، ص591، ابن كثير، م.س، ج17، ص148.

³ - فاروق عمر فوزي، م.س، ج2، ص253.

⁴ - المعتصم: هو الخليفة المعتصم أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد المهدي العباسي، عهد له بالخلافة المأمون، توفي في 227هـ، عن عمر سبعة و أربعون سنة، ومدة خلافته تسعة سنوات، كان شهما، لكن كثير اللهو والإسراف، بوفاته تولى ابنه الواثق، أنظر: ابن كثير، م.س، ج14، ص232، الياقعي: أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت 768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/1997م، ج2، ص71.

⁵ - عبد المعطي الصياد، م.س، ج1، ص249.

وعن الخليفة الناصر يذكر ابن الأثير⁽¹⁾ أنه قبيح السيرة، ظالماً، خرب العراق، وأخذ الأموال وكل ما هو ملك للأهالي، وأن ما ينسب له في أنه أطمع التتر في البلاد هو صحيح. وأما عن الظاهر الذي لم تدم فترة خلافته طويلاً (9 أشهر فقط)، فلم يتخذ أي إجراءات لمعالجة الأوضاع المتردية السياسية و العسكرية⁽²⁾.

أما المستنصر فبالرغم من أن حكمه كان طويلاً لكنه أهمل التصدي للخطر القادم من الشرق، ففي عهده أسقط المغول إمارة الخوارزميين دون أي مبادرة منه تُذكر لصددهم، بالرغم من أن له من الموارد والأموال وكافة القدرات، حتى يقوي جيشه و يمددهم بيد العون⁽³⁾.

أما الخليفة المستعصم فشخصيته المذكورة آنفاً، زادت الطين بلة، ومن أهم ما اشتهر عنه أنه كتب إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعة من ذوي الطرب، في الوقت الذي يطلب فيه هولاكو منهم المنجنيقات وآلات الحصار، فقال صاحب الموصل أنظروا إلى المطلبين و ابكوا على الإسلام وأهله⁽⁴⁾.

كما اشتهر عنه بخله، وعدم عنايته بالجيش، حيث اعتمدوا التجنيد كلما دعت الحاجة فقط، ما دفع بالجند للهروب من جيش الخلافة، بل أن البعض من لم

¹ - م.س، ج10، ص253.

² - فاروق عمر فوزي، م.س، ج2، ص253.

³ - م.ن.

⁴ - فؤاد عبد المعطى الصياد، م.س، ج1، ص251.

يجد عملاً انضموا إلى جيش المغول⁽¹⁾، إلا أن هناك من يرجع حال الجيش إلى تحريضات الوزير ابن العلقمي للخليفة، لا لبخله⁽²⁾، إلا أن ما يهم هنا هو حال الجيش فقط، دون من المتسبب في ذلك.

كما كان هذا الخليفة كلما ذكر بالمغول قال: "أنا بغداد تكفيني ولا يستكثرونها لي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد، ولا أيضاً يهجمون علي وأنا بها، وهي بيتي ودار مقامي"⁽³⁾.

بالإضافة إلى تلك الخلافات التي كانت قائمة حول المسائل الدينية بين الشيعة، السنة، المسيحية، و اليهود، وكان كل هؤلاء في خلاف دائم، ما يثير الفتن والمنازعات فيما بينهم، ومن ذلك ما نشب أواخر عهد المستعصم 655هـ/1257م من قتال بين السنة والشيعة في الكرخ مكان الشيعة، ووكل الخليفة ابنه أبي بكر بإنهاء هذا النزاع، فقام هذا الأخير بارتكاب الجرائم في حقهم وقتلهم، هذا العمل الذي كان له أثر فعال في نفوس الشيعة، فنقموا على المستعصم وابنه وحقدوا عليهم، وتمنوا زوال خلافتهم، و كان مؤيد الدين ابن العلقمي الشيعي من بينهم⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى هذه الأحوال التي آلت إليها الخلافة والخليفة العباسي، كانت الأحوال الاقتصادية أيضاً مزريّة، و أولها الخراج الذي أرهق كاهل العباسيين،

¹ - فاروق عمر فوزي، م.س، ج2، ص254.

² - ابن تغري بردي، م.س، ج6، ص35.

³ - ابن العبري، م.س، ص446.

⁴ - فؤاد عبد المعطي الصياد، م.س، ج1، ص254.

والتحكم في شؤون الأمصار لمصلحة الطبقة الحاكمة، مما أدى إلى كساد الحياة الزراعية والصناعية، وكان كلما ازداد الحكام غنىً ازداد الفقراء فقراً، بالإضافة إلى الحروب التي أخذت الرجال العاملين، وغدت المزارع مهجورة مخربة.⁽¹⁾

ومن المؤثرات السلبية أيضاً على العامل الاقتصادي في دار الخلافة العباسية هي الظروف الطبيعية التي أصابها من فيضانات مدمرة، وسقوط البرد، وانقطاع المطر، والجراد، فهذا أدى بالهجرة من أطراف و أرياف بغداد إلى مدنها، مما تسبب في قلة اليد العاملة من جهة وقلة الإنتاج الزراعي، وكثرة المجاعات وغلاء أسعار المواد الغذائية وانتشار الأمراض من جهة أخرى.⁽²⁾

و مما يذكر من هذه الكوارث الطبيعية والمصائب التي أصابت بغداد هو حدث 654هـ/1256م، ففي آخر صيف هذه السنة و بالضبط في ربيع الآخر و جمادى الأولى⁽³⁾، حدث سيل عظيم أغرق مدينة بغداد، وزادت دجلة زيادة لم تعرف مثلها قبل، وغرق خلق كثير وهلك الناس، ووقعت العديد من الدور.⁽⁴⁾

و استمر هذا الانهيار للسيل خمسين يوماً، ثم بدأ بالنقصان تاركاً نصف أراضي العراق خراباً⁽⁵⁾، وغرقت خزائن الخليفة⁽⁶⁾.

¹ - فؤاد عبد المعطي الصياد، م.س، ج1، ص254.

² - فاروق عمر فوزي، م.س، ج2، ص255.

³ - ابن تغري بردي، م.س، ج6، ص35.

⁴ - الذهبي، العبر في خبر من غير، م.س، ج3، ص275.

⁵ - فؤاد عبد المعطي الصياد، م.س، ج1، ص:260.

⁶ - ابن تغري بردي، م.س، ج6، ص35.

ونتيجة هذا الوضع استغل جماعة من المشاغبين الفرصة، وعملوا على الاعتداء والسلب والنهب و اغتصاب الأهالي⁽¹⁾، و هؤلاء قد رعاهم مجاهد الدين أبيك⁽²⁾ الدواتدار الصغير⁽³⁾.

حيث اتفق معهم ومع طائفة من الأعيان على خلع الخليفة وتولية آخر من العباسيين ولما علم الوزير ابن العلقمي بذلك أخبر الخليفة فاستدعى هذا الأخير الدواتدار، وأطلعته على ما قاله الوزير في شأنه، واستطاع الدواتدار بكلامه أن يستميل الخليفة وأخبره أن هذا الوزير يميل إلى هولاكوخان والمغول، فهو يتبادل معهم الجواسيس الغرض من فعلته هذه أنه يريد الإطاحة بيننا فصدقه، وأمر أن يذكر اسمه في الخطبة بعد اسم الخليفة⁽⁴⁾.

¹ -الهمذاني، م.س، ج1، ص262.

² - الدويدار الصغير مجاهد الدين أبيك: مقدم جيش العراق، كان مغرى بالكمياء، تزوج بينت بدر الدين صاحب الموصل، ويقتل التتار له حُمل رأسه ونصب بالموصل. أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، م.س، ج23، ص371.

³ - فؤاد عبد المعطي صياد، م.س، ج1، ص 253.

⁴ -الهمذاني، م.س، ج1، ص 262، 263، 264.

المبحث الثاني: دور ابن العلقمي في الغزو المغولي لبغداد

1- التعريف بـ "ابن العلقمي":

* اسمه ونسبه:

هو الوزير ابن العلقمي الرافضي، محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن أبي طالب، الوزير مؤيد الدين أبو طالب بن العلقمي البغدادي⁽¹⁾، نسبة إلى جده العلقمي لأنه حفر النهر المسمى بالعلقمي، و هو الذي برز الأمر الشريف السلطاني بحفره، وسمي بالقازاني⁽²⁾.

* أعماله قبل استوزاره:

اشتغل ابن العلقمي في شبابه بالنحو وعلم الأدب، في الحلة على عميد الرؤساء ابن أيوب ثم قدم بغداد وقرأ على أبي البقاء عبد الله بن المسيب العكبري، وقد اشتهر بجودة الخط و بالإنشاء و الأدب، و نظم الشعر، كان محبا للأدباء والعلماء⁽³⁾، و اشتملت خزانته على عشرة آلاف من نفائس الكتب⁽⁴⁾.

وقد أمر ابن العلقمي فخر الدين عبد الحميد بن أبي الحديد بتأليف كتاب "شرح نهج البلاغة" فأنجزه له، وصنف له أيضا الصاغاني كتاب "الغُباب" في

¹ - ابن كثير، م.س، ج17، ص379.

² - ابن طباطبا : محمد بن علي المعروف بابن الطقطقا (ت704هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، د.ط، بيروت، د.ت، ص337.

³ - فؤاد عبد المعطي الصياد، م.س، ج1، ص252.

⁴ - ابن طباطبا، م.س، ص337.

اللغة، و ببغداد أقام ابن العلقمي عند خاله أستاذ الدار⁽¹⁾ عضد الدين أبي نصر المبارك ابن الضحاك، استتابه في ديوان الأبنية وشغله بعلم الإنشاء، إلى أن توفي خاله، و فوضت الأستاذارية إلى شمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد، الذي استدعى ابن العلقمي إلى دار التشريفات، وأمره بالتردد إليها في كل يوم، و مشاركة النواب بها⁽²⁾.

وعند انتقال أستاذ الدار أحمد بن الناقد إلى الوزارة، نُقل ابن العلقمي إلى أستاذية الدار، و قد خدم أستاذ دار الخلافة أيام المستنصر مدة طويلة إلى غاية 642هـ/1244م⁽³⁾.

* استوزاره 642-656هـ / 1244-1258م:

تم استوزاؤه بأمر كبار الأمراء الدوידار، و الشرابي. حكم مدة أربعة عشرة سنة، وذلك منذ سنة 642هـ/1244م بعد وفاة الوزير أحمد بن الناقد، و جعل مكانه في الأستاذارية الشيخ محي الدين يوسف بن أبي الفرج بن الجوزي، و هو واقف الجوزية بنشابين بدمشق وقد تولى هذا المنصب بعد سنتين من خلافة

¹ - أستاذ الدار: هي مهنة موضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ، الشراب خاناه والحاشية والغلمان يمشي بطلب السلطان، ويحكم في غلمانه وداره، وإليه أمر الجاشنكرية (نتحدث في أمر السماط مع الأستاذار)، وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان، من النفقات والكساوي وغيره للماليك، أنظر القلقشندي، م.س، ج4، ص21، 20.

² - محمد جاسم حمادي المشهداني، في محكمّة التاريخ: ابن العلقمي و الطوسي، دار القلم، ط1، دمشق، 1421هـ / 2000م، ص18، 19.

³ - ابن كثير، م.س، ج17، ص380.

المستعصم بالله، وقد حصل من قبله على التعظيم والوجاهة في أيام هذا الخليفة، ما لم يحصل عليها الكثير ممن قبله في الوزارة⁽¹⁾.

وعن أعماله أثناء استوزاره وأحواله يذكر ابن كثير⁽²⁾ بأنه " المشؤوم على نفسه وعلى أهل بغداد، و الذي لم يعصم المستعصم في وزارته فانه لم يكن وزير صدق، وأنه قد أعان على المسلمين في قضية هولاكو وجنوده"، ويؤكد هذا أيضا أبو شامة⁽³⁾، إذ يذكر أن استيلاء المغول على بغداد جاء بمكيدة دبرت مع وزير بغداد.

وأيضا ابن خلدون⁽⁴⁾ يذكر بلغته وصية من ابن العلقمي وزير المستعصم ببغداد في كتاب ابن صلايا⁽⁵⁾ صاحب اربل يستحثه للمسير إلى بغداد ويسهل عليه أمرها.

¹ - ابن كثير، م.س، ج17، ص273، 380.

² - م.ن، ص 273.

³ - شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي (ت665هـ)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، مر: عزت العطار الحسيني، دار الجيل، ط1، بيروت، 1947م، ص199.

⁴ - م.س، ج5، ص612.

⁵ - ابن صلايا: صاحب تاج الدين أبو المكارم، محمد بن نصر ابن يحيى الهاشمي العلوي، نائب الخليفة بإربل، كان من رجال الدهر، عقلا ورأيا وهيبة وحزما وجودا، قتله هولاكو في ربيع الآخر بقرب تبريز، أنظر: الذهبي، العبر في خبر من غير، م.س، ج3.، ابن العماد الحنبلي: شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي (ت1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الارناؤوط، محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، د.ط، بيروت، د.ت، ج7، ص 491.

أما الذهبي ⁽¹⁾ فيذكر: "أن الوزير قد أرسل أخاه و مملوكه إلى هولاءكو، وسهل عليه أخذ بغداد وطلب أن يكون نائباً لهم بها فوعده بذلك وساروا إليها" وابن تغري ⁽²⁾ يذكر "أنه قد أرسل إليهم غلامه و أخاه".

أما عن أسباب و دوافع قيام ابن العلقمي بهذه الخطوة فيذكر أنها: قد تعددت، إلا أن السبب الذي أُجمع عليه هو: تلك العداوة التي كانت بينه وبين الدويدار، و أبي بكر ابن الخليفة، وما فعلوه أثناء حرب الرفضة المذكورة، والتي اتحد فيها الدويدار مع ابي بكر، فهذا ما أهاج ابن العلقمي، و ولد له رغبة في الانتقام و إزالة السنة وإظهار الشيعة، وإقامة خليفة من الفاطميين و الإنتقام من السنيين ⁽³⁾، و هذه الأفكار والحقد كان باطنياً أما أمام الخليفة فيظهر عكس ذلك تمام ⁽⁴⁾.

إلى جانب هذا السبب الذي يعتبر هو المباشر توجد أسباب أخرى: هي الوعود الطيبة التي أبرمها ابن العلقمي مع المغول، حيث أعماه التعصب المذهبي، وفضل الوثني الكافر، على من يحالف مذهب لاسيما أنه كان على وفاق مع

¹ - العبر في خبر من غير، م.س، ج3، ص277.

² - م.س، ج7، ص48.

³ - ابن كثير، م.س، ج10، ص380.

⁴ - ابن تغري بردي، م.س، ج7، ص47.

الطوسي الشيعي وزير هولاكو، فقد اتفقا معاً لإيقاع الخليفة و إرضاء الوثني هولاكو.⁽¹⁾

إضافة إلى عدم اطمئنانه لعمله في الوزارة، خاصة بعد احتدام الصراع بينه وبين الدواتدار الصغير⁽²⁾، وهو ما ذكرته في أحوال بغداد قبيل الغزو المغولي، و وقوف الخليفة إلى جانب الدواتدار بدلا من الوزير.

ومهما كانت الطريقة التي كاتب بها ابن العلقمي التتار أو الشخصيات الذين بعثهم إليهم، فهو أمر ليس بهمهم، بقدر ما هو أهم أنه فعلا حرضهم وساعدهم.

ومما تقدم عن شخصية الخليفة الضعيفة نجد أنها كانت دورا فعلا حتى يتحكم الوزير في أمور الدولة، حسب إرادته، خاصة بعدما وُكل له الخليفة كل الأمور، فتقوى نفوذه، وكان رأيه وكلامه فوق رأي الخليفة، ولتسهيل المهمة على هولاكو عمل إلى جانب تحريضاته له إلى جعل الأوضاع الداخلية للبلاد مزرية.⁽³⁾

حيث أشار على الخليفة بقطع أرزاق الجند، وصرف الجيوش، و إسقاط أسمائهم من الديوان فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر تقريبا 100.000 مقاتل، فاجتهدوا في تقليصهم إلى 10.000 مقاتل، بالإضافة إلى دوره في إثارة الفتن بين السنة و الشيعة⁽⁴⁾.

¹ - فؤاد عبد المعطي الصياد، ج1، م.س، 273.

² - م.ن.

³ - ابن كثير، م.س، ج17، ص360.

⁴ - م.ن.

ورغم هذا إلا أن هناك من يدافع عن الوزير ويعتبر كل ما ينسب إليه مجرد اتهامات لا أكثر، فالهمذاني⁽¹⁾ يذكر أنه بسبب الخلاف الذي كان بينه وبين الدواتدار، فإن أتباع هذا الأخير، يذيعون بين الناس أن الوزير على اتفاق مع هولاكوخان، إضافة إلى ابن العبري⁽²⁾ الذي لا يذكر إطلاقاً هذه المؤامرات، بل يذكر أنه كان واقفاً إلى جانب الخليفة، يمدّه بالتوصيات لهزم العدو، وأيضاً ابن طباطبا⁽³⁾ الذي يقول: "أن خواص الخليفة جميعهم يكرهونه ويحسدونه، وأن نسبة أنه خامر ليس بصحيح، لأن السلطان هولاكو لما فتح بغداد وقتل الخليفة سلم البلد إلى الوزير، فلو كان خامر على الخليفة لما تم الوثوق به بل أنه كان يكتب الخليفة ويحذره و ينبهه و يشير له بالتيقظ و الاحتياط و الاستعداد لصد المغول.

إلا أن هذا لم يكن صحيحاً و خير دليل على ذلك هو أن بغداد استطاعت أن تتصدى للعدو عدة مرات قبل استوزار ابن العلقمي، و لعل آخر سنة 642هـ/1244م عند تعيينه كوزير لكن في بداياته قبل بدئه بالتلاعبات بالإضافة أن بغزو المغول بغداد لم يبقوا على أحد سوى الوزير وعينوه وزيراً لهم في بغداد⁽⁴⁾، فما موجه له هو حقيقة وليس باتهام.

¹ - م.س، ج 1، ص 220.

² - م.س، ص 470.

³ - م.س، ص 335، 338.

⁴ - محمد جاسم، م.س، ص 69، 70.

إلى جانب هذه الشخصية توجد شخصية أخرى أيضاً، والتي ذكرت أنها قد تعاونت مع الوزير على الخليفة هو الطوسي الرافضي⁽¹⁾ إلا أن الاختلاف بينهما هو أن هذا الأخير كان مع هولاكوخان علناً، وكان من أكبر وزراء علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن داعي الإسماعلية الأكبر، فوجه للطوسي دعوة لزيارته في قوهستان، وبقي في قلاع الاسماعلية إلى أن كاتب المغول سرا في حوالي 650هـ/1252م، أي عند مجيء هولاكو إلى قلاع الإسماعلية⁽²⁾ وكان له دور إلى جانب ابن العلقمي للإيقاع بالخليفة.⁽³⁾

¹ - الطوسي الرافضي: هو أبو عبد الله محمد بن الحسن، ويقال له الخواجة نصير الدين، الطوسي نسبه إلى مدينة طوس الارانية التي ولد فيها، والتي تقع في إقليم خراسان، ولد يوم السبت 11 جمادى الأولى 597هـ، اتجه للدراسة في مدينة نيسابور، وعندما اجتاحتها المغول سنة 612هـ/1216م عاد إلى طوس، ومن ثم أصبح مَطمحاً لأنظار الإسماعلية في شخص ناصر الدين عبد الرحمان بن أبي منصور الاسماعيلي حاكم قوهستان. أنظر: محمد جاسم، م.س، ص 69، 70.

² - م.ن، ص: 70، 71.

³ - فؤاد عبد المعطي الصياد، م.س، ج 1، ص 273.

المبحث الثالث: هولاءكو يزيل الخلافة العباسية في بغداد

1- التعريف بـ'هولاءكو':

هولاءكو يقال له هولاءون، ويقال هولاءو بن طولي خان بن جنكيز خان المغلي التركي⁽¹⁾، وهو الابن الرابع لتولوي خان، وهذا الأخير هو الابن الرابع لجنكيز خان، وأمه هي "سيور قنيتي بيكي"، ابنة جاكمبو أخى أونك خان ملك أقزام "كرايت"، ولما كانت الصداقة تقوم بين جنكيز خان وبين أونك خان، وتربطهما الصلاة الروحية الموجودة بين الوالد ابنه طلب تزويج ابنه من ابنتي أخى أونك خان، فكانت بيكسوتمش لابنه "جوجي" وكانت سيور قوقنتي لابنه الآخر "تولوي خان"⁽²⁾.

ولقد كان له الكثير من النساء، منهن من تزوجهن بحكم "الياسا" وهم مشهورات، وهناك من تزوجهن بنفسه ومن هن: دوقوزخاتون، توقيتتي خاتون، كوكاجي خاتون، كويك خاتون، سونجين خاتون⁽³⁾.

له من الأولاد أربعة عشر ولدا، وسبع بنات وهم: "أباقا خان" وهو الأكبر لهولاءكو خان، "أجو مقور"، "يشموت"، "بيكين"، "طرناي"، "توسين"، "أحمد"، "أجاي"، "قونقرتاي"، "هوبيسودار"، "منكوتيمور"، "هولاجو"، والأخير هو: "طغاي".

¹ - ابن تغري بردي، م.س، ج7، ص220.

² - الهمذاني، م.س، ج1، ص219.

³ - م.ن، ص221.

تيمور" وأما البنات فهن "بولوقان آقا" و "جمى"، "منكوكان"، و "تودكاج" و "ظرقاي" و "قوتلقان"، والأخيرة "بابا"⁽¹⁾.

إلا أن أبو المحاسن⁽²⁾ يذكر بأنه قد خلف سبعة عشرة طفلاً وهم: "أنغبا"، "أشموط"، "تمشين"، "بكتس"، "أجاي"، "نتستر"، "منكوتمر"، "باكودر"، "أرغون"، "تغاي" واستطاع هولاكو أن يكون قائد عظيم لحمالات الجيش المغولي و شخصية ذات قوة و جبروت، في عهد أخيه الحاكم الأعظم "منكوقان" 644-655هـ/1246-1257م، فبعد تسوية هذا الأخير الأمور الداخلية للمغول وجه أنظاره لتحقيق مصالح بلاده حيث أرسل الجيوش إلى أطراف وحدود البلدان العربية، بقيادة قائده 'بايجو'، ولما بلغ هذا الأخير البلاد، ورأى أحوالها أرسل للخان يشتكيه من الملاحدة ومن الخليفة البغدادي⁽³⁾.

ونظرًا لما كان "منكوقان" يراه في أخيه هولاكو من رجل قوة و غزو و ما يتأمله منه في تحقيق أغراضه التوسعية، فوض له غزو غرب إيران والشام ومصر وبلاد الروم و الآرمين⁽⁴⁾. فسار بذلك هولاكو حوالي سنة 651هـ/1253م، واستطاع

¹ - الهمذاني، م.س، ج، 1 ص 222.

² - م.س، ج 7، ص 220.

³ - الهمذاني، م.س، ج 1، ص 232، 233.

⁴ - م.ن، ص 237.

في فترة وجيزة الاستلاء على حصون الإسماعلية، أذربيجان، الروم، العراق، الجزيرة والشام⁽¹⁾.

اعتلاه الصرع منذ أن قتل الشهيد صاحب 'ميفارقين محمد بن غازي'، ويذكر أنه كان يصرع في اليوم مرة أو مرتين، إلا أن ضعف وهلك وتوفي⁽²⁾ ما بين سنتي 663-664/1265-1266م، وهكذا كانت وفاة هذا القاهر الجبار.

ورغم انجازاته هذه إلا أن هولاء لم يملك ملكاً مستقلاً، بل إنه كان نائباً لـ أخيه منكوقان فقط. ولم يضرب باسمه درهم ولا دينار، وإنما كانت تضرب باسم أخيه منكوقان.⁽³⁾ وكان حليماً، حكيمًا، ذا فهم ومعرفة يحب الحكماء والعلماء، وذو خبرة بالحروب.⁽⁴⁾

2- سير حملة هولاء إلى بغداد:

في سنة 642هـ/1244م أغار التتار على بلد بغداد، إلا أنهم لم يتمكنوا منها⁽⁵⁾، وكذا سنة 643هـ/1245م كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة وبين التتار، فكسره المسلمون كسرة عظيمة وفرقوا شملهم، لكنهم استطاعوا الإفلات منهم، و لم يلحقوا بهم⁽⁶⁾.

¹ -الذهبي، العبر في خبر من غير، م.س، ج3، ص 311.

² - م.ن.

³ - القلقشندي، م.س، ج4، ص419.

⁴ - ابن العبري، م.س، ص446.

⁵ - الذهبي، العبر في خبر من غير، م.س، ج3، ص311.

⁶ - ابن كثير، م.س، ج17، ص281.

و قبل ذلك يذكر أن المغول بدأوا بتهديد بغداد منذ 618هـ/1220م حيث هوجمت مدن عراقية وهي إربل و دقوقا⁽¹⁾، وكذا في سنة 647هـ/1249م أغار التتار على أطراف العراق وقتلوا الكثير منهم⁽²⁾، وكذا الحال سنة 652هـ/1254م، فقد فتحوا الكثير من قلاعهم وضيقوا عليهم بالحصار⁽³⁾، إلا أن الضربة الفعالة والتي أنهت الخلافة، بدأت سنة 655هـ/1257م، أولها على شكل مراسلات بين الطرفين انتهت بحروب، ففي الوقت الذي كان فيه هولاء محاصرين لقلع الملاحدة، سير رسولا للخليفة في طلب بتزويده بالجنود والآلات، فأراد الخليفة تلبية مطالب هولاء، إلا أن الوزراء والأمراء أشاروا عليه بعدم تلبية طلبه وأنه ليس في حاجتنا وإنما هدفه من هذا هو إخلاء بغداد حتى يتمكنها بسهولة⁽⁴⁾.

وفي 9 ربيع الآخر 655هـ/1257م سار هولاء قاصدا بغداد، ثم رجع إلى همدان في 12 رجب 655هـ/جويلية 1257م ، وفي 10 رمضان من نفس السنة أرسل للخليفة يتهدده ويطلب منه المثل أمامه، أو بعث كلا من الوزير سليمان شاه⁽⁵⁾،

¹- فاروق عمر فوزي، م.س، ج2، ص254.

²- الذهبي، العبر في خبر من غير، م.س، ج3، ص257.

³- ابن خلدون، م.س، ج5، ص612.

⁴- ابن العبري، م.س، ص471.

⁵- سليمان شاه بن برجم الابواني، أحد قواد المستعصم المشهورين اقترن اسمه بحادثة سقوط بغداد، أحد الأشخاص الثلاثة الذين آلت اليهم مقاليد الحكم أثناء المستعصم، هو الوزير والدواتدار، كان على الإمام بعلم النجوم والكواكب، نظم الشعر الفارسي، أنظر: إلى عبد المعطي الصياد ، م.س، ج1، ص261.

والدواتدار، فإن استجاب سنبقي له على دولته، أما إذا لم يستجب فليُعين ساحة القتال.⁽¹⁾

وبعدما بلغت هذه الرسالة الخليفة بعث بأخرى له مع بن الجوزي والنخجواني بصحبة الرسل يطلب منه الود والعودة لخراسان، ويخاطبه قائلاً إن كنت تريد الحرب فلي من الفرسان و الرجال ما يكفي.⁽²⁾

وبعدما سير الخليفة المعتصم مائة رجل إلى الدربند ليطالعه بالأنباء إلا أنه منذ ذهابهم لم يظهر منهم أحد، بسبب فعلة الأكراد بهم الذين كانوا هناك حيث أخبروا النصار بوجدهم فقتلوه جميعاً.⁽³⁾

وفي الأثناء التي وصلت فيها رسالة الخليفة لهولاكو أمر رسله بالانصراف من موضع "بنج أنكشت"، على حدود همذان التي كانت معسكراً له، وأرسل للخليفة يعاتبه ويذكر له أنه متوجها نحوه، فبعدما أعاد رسل الخليفة، بدأ في التفكير بخطوات محكمة للغزو، وكان مخططه يتضمن إرسال أغلب الجند إلى نواحي بغداد حيث الجبال فيستولي عليها.⁽⁴⁾

وقبل مباشرته بالغزو، لجأ أولاً إلى إستشارة أركان وأعيان الدولة في أمره هذا و أبدى كل رأيه، ثم طلب إلى حسام الدين المنجم الذي صاحبه بأمر القآن

¹ - الهمذاني، م.س، ج1، ص267، 268.

² - م.ن، ص 269، 270.

³ - ابن تغري بردي، م.س، ج7، ص48.

⁴ - الهمذاني، م.س، ج1، ص 271، 277.

الأعظم، ليختار وقت المسير. إلا أن هذا المنجم ذكر له أنه ليس ميمونا قصد أسرة الخلافة، إذ أن كل ملك من قبل قصد الخلافة العباسية وبغداد، لم يستمتع بالملك وأنه إذا أراد ذلك فستظهر ستة أنواع من الفساد:

1- أن تتفق الخيول كلها، ويمرض الجند.

2- أن الشمس لا تطلع.

3- أن المطر لا ينزل.

4- أنه تهب ريح صرصر، وتأتي الزلازل.

5- لا ينبت النبات في الأرض.

6- أنه يموت الملك الأعظم في تلك السنة.

فقام هولاءكو بعدها باستدعاء الطوسي واستشارته، فأنكر حصول مثل هذه الأمور وتواجه مع حسام الدين المنجم، وذكره بأن الأمين أخو المأمون قد قُتل، والمتوكل قتل ابنه، وكذا قتل الأمراء والغلمان المنتصر والمعتز وغيرهم، ولم يحدث شيء مما ذكرته⁽¹⁾.

وبعد تلك المشاورات عقد هولاءكو العزم على غزو بغداد، فجمع النصار والكرج، و ساعده صاحب الموصل مع ولده الصالح إسماعيل⁽²⁾، و أمر بأن تتحرك جيوش جرماغون وبايجو نويان، و أن تسير على الميمنة إلى الموصل عن

¹ -الهمذاني، م.س، ج1، ص280.

² - الذهبي، العبر في خبر من غير، م.س، ج3، ص278.

طريق اربل، ثم تعبر جسر الموصل وتسكر في الجانب الغربي من بغداد، وإذا

قدمت الرايات من المشرق تخرج إليها من تلك الناحية⁽¹⁾.

وأن يسير الأمراء بلغابون شيبان بن جوجي و"توتار بن سكتنور بن جوجي"

و"قولن بن أورده بن جوجي" و"بوقاتيمور"، "سونجاق" من الميمنة أيضا، ويدخلون

مضيق "تسونتاي نويان" إلى ناحية هولاكوخان، أما قوات "كيتوبوقانويان" و"قدسون"

و"نرك ايلكا" فكانت تزحف من حدود لرستان و بيات و تكريت و خوزستان حتى

ساحل عمان، وترك هولاكو المعسكرات و الأفواج في مرج "زكي" من ضواحي

همدان، وأمر عليهم "قياق نويان"⁽²⁾.

وفي محرم 655هـ/جانفي 1257م، سار هولاكوخان بالجيش في القلب

الذي يسميه المغول "قول"، وعندما بلغ أسد آباد، أرسل رسولا للخليفة للحضور مرة

أخرى، وكان الخليفة يتردد، ووصل مبعوث الخليفة إلى دينور مرة ثانية ملتصقا

عودة هولاكو وتراجعته ثم تحرك جنود المغول إلى جبال الأكراد، ونزلوا 'بكر منشاه'،

وأقاموا أعمالهم الوحشية، وأرسلوا لإحضار 'سونجاق' و'بايجونويان' و'سونتاي'⁽³⁾.

وفي 9 محرم 656هـ/جانفي 1258، عبر 'بايجونويان' و'بوقاتيمور'

و'سونجاق' نهر دجلة عن طريق نهر دجيل، وصولا إلى نهر عيسى، وهم على

اعتقاد بل على يقين بوجود قائدا لجيش الخليفة غرب بغداد، وفعلا كان هناك

¹ - الهمداني، م.س، ج1، ص 281.

² - م.ن، ص 282.

³ - م.ن.

مجاهد الدين ابيك الدواتدار الذي كان قائدا لجيش الخليفة مع "ابن كر"، وكان معسكرهما بين بعقوبا و باجسرى⁽¹⁾.

ودارت بينهما معركة كادت أن تحقق النصر للمسلمين، لولا تلك المؤامرة المدبرة؛ إذ فتحت المياه على القوات العباسية، فتعسرت حركتهم، و تمكنت قوات المغول منهم⁽²⁾. بينما ابن العبري⁽³⁾ يذكر أن بعد هزيمة المغول التقاهم 'بايجونويان' فردهم وهجموا جميعا على عسكر الدويدار، فانهزم وقتل أكثر جيشه، ونجا هو مع عدد قليل.

وفي منتصف محرم من نفس السنة، نزل هولاكو بنفسه على بغداد، وبنوا بجانبها الشرقي سورًا، وبالجانب الغربي حفروا خندقا عميقا، ونصبوا المنجنيقات إزاء سور بغداد من جميع الجوانب.⁽⁴⁾

وبدأ القتال حوالي 12 محرم 656هـ / 1258م، ويذكر ابن كثير⁽⁵⁾ أنه قد أصيبت جارية بسهم داخل القصر وكانت بين يدي الخليفة فماتت ،ووجد الخليفة مكتوب على السهم "إذا أراد الله انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم" فأمر بالحيلة منهم، وجهاز جيشه البالغ حوالي 10.000 فارس من المستضعفين، بينما كان المغول في حوالي 20.000 مقاتل.

¹ - الهمذاني، م.س، ج1، ص282.

² - ابن طباطبا، م.س، ص336.

³ - م.س، ص.473.

⁴ - الهمذاني، م.س، ج1، ص285.

⁵ - م.س، ج17، ص356، 357، 358.

و باشر المغول بالقتال بإزاء برج العجمي وبوقاتييمور من الجانب الغربي، وبايجونوين وسونجاق نوين من جانب البيمارستان العضدي، و استمر القتل في بغداد إلى غاية 26 محرم حيث ملكوا الأسوار. وأمر هولاكو أن يخرج له الدويدار وسليمان شاه، والخليفة له الخيار، وتلبية لهذا الجبار خرج كلا الشخصين المطلوبين مع جماعة من الأكابر، إلا أن الدويدار عاد من طريقه بحجة منع المقاتلين الذين هم بالحروب و الأزقة لئلا يقتلوا أحدا من المغول، ولكن بعودته قُتل⁽¹⁾.

ثم سير الخليفة الوزير ابن العلقمي لهولاكوخان، وبعد ملاقاته وعودته ينكر ابن كثير⁽²⁾ انه قد أشار على الخليفة بالخروج له على أن يقع الصلح بينكما، شرط أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه الآخر لك، أما الذهبي⁽³⁾ و السيوطي⁽⁴⁾ فيذكران أنه برجوعه قال أن الملك يرغب في تزويج بنته بابنك الأمير أبي بكر، ويأمر بك بأن تسير على سيرة أجدادك و أبائك، بأن تقدم لهم الطاعة، كما تم ذلك مع غيرهم وبعدها سيرحل عنك.

و بطلب الوزير من الخليفة من أجل المثل أمام هولاكو، خرج فعلا للقاءه مع الأعيان⁽⁵⁾، أما الذهبي⁽⁶⁾ فيذكر أنه خرج وحده، وبعد مثوله أمام هولاكو، أرسل

¹ - ابن العبري، م.س، ص 273، 274.

² - م.س، ج 17، ص 358.

³ - العبر في خبر من غير، م.س، ج 3، ص 370

⁴ - م.س، ص 370.

⁵ - ابن كثير، م.س، ج 17، ص 358.

⁶ - العبر في خبر من غير، م.س، ج 3، ص 278.

أرسل هذا الأخير الوزير من أجل إحضار أعيان الدولة بحجة حضور عقد الزواج، إلا أنه بحضورهم قتلهم جميعاً.

ثم عاد الخليفة رفقة الطوسي وابن العلقمي إلى بغداد لإحضار ما يملكه من أملاك نفيسة، وفي ذلك الحين أشار الرافضة بما فيهم ابن العلقمي والطوسي على هولاكو بقتل الخليفة و أقنعوه بذلك، وبعودة المستعصم بالله إلى هولاكو طلب منه هذا الأخير إظهار أمواله الباطنية الغير ظاهرة، فباح له بما هو مدفون من كنوز ثمينة وكانت عبارة عن حوض مملوء بالذهب، واستطاع هولاكو فعلاً إيجاده.⁽¹⁾

و بعدها أمر أن يفرز جميع النساء اللواتي باشرهن و أولاده و يعزلهن، وأحصوهم فكان عددهم سبعمائة امرأة، فأخرجهن مع ثلاثمائة خادم خصي فقتلوهم⁽²⁾ و استمر القتل فيهم نيقاً وثلاثين يوماً⁽³⁾، و قُتل الخليفة المستعصم بالله، وقيل رفسا وهو في جوالق، حتى لا يقع دمه على الأرض، وقيل خنقاً، وقيل غرقاً.⁽⁴⁾

¹ - ابن العبري، م.س، ص473.

² - م.ن.

³ - الذهبي، العبر في خبر من غير، م.س، ج3، ص278.

⁴ - ابن كثير، م.س، ج17، ص359.الذهبي، سير أعلام النبلاء، م.س، ج23، ص183.

3- أحوال بغداد بعد الغزو المغولي:

بدخول المغول بغداد لم يغادروها، إلا بعدما مارسوا بها كل أنواع الوحشية والخراب والقتل والنهب والسبي والحرق، حيث لم يتركوا مكاناً إلا ودمروه وهدموه تماماً، ولا رجلاً أو امرأة ولا صغيراً أو كبيراً إلا وقتلوه بعد التعذيب بدءاً منهم بالعلماء والفقهاء والأدباء والحكام وكل أكابر وأعيان الدولة العباسية إلى أن أصبحت تلك المدينة بغداد مجرد خراب، فيها قلة من الناس، يعيشون في جوع وخوف وذلة⁽¹⁾.

وفي إحصاء عدد قتلى بغداد قيل قدر بثمانمائة ألف، و قيل ألف ألف وثمانية ألف، و قيل أول شخصية يستهل بها عند ذكر قتلى بغداد هو الخليفة المستعصم بالله، فقد قتل يوم الأربعاء 10 صفر 656هـ/ 1258م⁽²⁾، و يقول المقرئ⁽³⁾ في السادس صفر، و يقول الذهبي⁽⁴⁾ في أواخر محرم وما أظنه دفن، وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد، عن عمر خمسة وعشرين سنة، ثم قُتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمان، وله ثلاث وعشرون سنة، و أسروا ولده الأصغر مبارك، و أسرت أخواته الثلاثة فاطمة وخديجة ومريم، وأسر من الأبقار ما يقارب ألف بكر.

¹ - ابن كثير، م.س، ج 17، ص 360، 361.

² - م.ن.

³ - م.س، ج 1، ص 499.

⁴ - العبر في خبر من غير، م.س، ج 3، ص 285.

وكان كل رجل من أكابر الدولة يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس، فيخرج بأولاده ونساءه وجواريه ويذبح، ويؤسر من يقع عليه الاختيار من أولاده وجواريه، ومن أولئك أستاذدار الخلافة الشيخ محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج، ولقد كان عدوا للوزير، وقُتل معه أولاده الثلاثة: عبد الرحمان، عبد الله، عبد الكريم، كما قُتل الدويدار الصغير مجاهد الدين أبيك، وسليمان شاه شهاب الدين⁽¹⁾.

وقُتل الصرصري الشيخ أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى البغدادي الحنبلي الضرير، كان شاعرا عارفا باللغة، يذكر أن قتل تتاريا بعكازه، فقتلوه، عن عمر ثمان وستين سنة، ولد 588هـ/1190م. وأُستشهد أيضا الشيخ علي الخباز الزاهد، وكانت له زاوية⁽²⁾.

وعلي بن محمد بن الحسين، صدر الدين علي بن النيار شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة دُبح بدار الخلافة، وقُتل أيضا الخطباء والأئمة وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات و الجمعات مدة شهر ببغداد⁽³⁾.

و استولوا على قصور الخلافة، وألقوا بكتب العلم التي كانت بخزائنها بدجلة⁽⁴⁾.

¹ - ابن كثير، م.س، ج17، ص381

² - الذهبي، العبر في خبر من غير، م.س، ج3، ص285.

³ - ابن كثير، م.س، ج17، ص382.

⁴ - ابن خلدون، م.س، ج5، ص613.

ويقول ابن تغري بردي⁽¹⁾ أن الكتب قد أحرقت، وقيل بنوا بها جسرا من الطين والماء بدلا من الآجر، وأحرقت أكثر الأماكن المقدسة منها جامع الخليفة ومشهد موسى الجواد وقبور الخلفاء.

وبانقضاء أربعين يوما، لم يبق ببغداد إلا قلة قليلة فقط، والقتلى في الطرقات وقد تغيرت صورهم بسبب الأمطار التي سقطت عليهم، ومنتوا، وتغير الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد، حتى تعدى إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير بسبب تغير الجو وفساد الريح، وأصبح الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، ولما نودي بالأمان في بغداد خرج من كان تحت الأرض وفي القنى والمقابر، ولم يعرف أحدهم آخر للحالة التي كانوا فيها، وأخذهم هم أيضا الوباء، فلقوا بمن سبقهم من القتلى⁽²⁾.

وبعد انتهاء هولاكو من فعلته هذه ببغداد غادرها إلى أذربيجان مع السبي والأموال مسلما إلى علي بهادر وابن العلقمي الشحنية⁽³⁾ (وظيفة يتولاها الشحنة وهو صاحب الشرطة)،

¹ - م.س، ج7، ص51.

² - ابن كثير، م.س، ج17، ص362، 363. محمد سعيد العشماوي، الخلافة الإسلامية، دار سينا للنشر، ط2، القاهرة، 1992، ص52.

³ - ابن طباطبا، م.س، ص338. الذهبي، سير اعلام النبلاء، م.س، ج23، ص183.

إلا أن الوزير ابن العلقمي لم يُعنى عندهم بالاهتمام الذي عُني به عند العباسيين فقد اقتصرته مهمته على الكلام حول الدخل والخرج، ويتصرف تحت علي بهادر⁽¹⁾.

و لم يعمر طويلاً بعد سقوط بغداد، وقيل أنه توفي ندمًا على فعلته وتحصرًا على وضعيته كيف كانت و كيف أصبحت، ويُذكر بأنه قد توفي في رجب 656/جويلية 1258م، ومات بعده ابنه⁽²⁾، أما ابن كثير⁽³⁾ يذكر أنه توفي في مستهل جمادى من هذه السنة. ويذكر الذهبي⁽⁴⁾ أن وفاته كانت بعد ثلاث شهور من سقوط العاصمة بغداد.

¹ - ابن خلدون، م.س، ج5، ص613.

² - الذهبي، العبر في خبر من غير، م.س، ج3، ص285.

³ - م.س، ج17، ص380.

⁴ - سير أعلام النبلاء، م.س، ج23، ص363.

تلك كانت نهاية الخلافة العباسية في بغداد بعد أن دامت 524 سنة من 132-656هـ/749-1258م، بدءا بعبد الله السفاح، اختتاماً بالمستعصم بالله، وكان عدد خلفائهم 37 خليفة⁽¹⁾.

وقد بقت الخلافة بعد المستعصم ثلاثة سنين خالية، وكان ابن العلقمي قد حسن لهم أن يقيموا خليفة علويا، لكن المغول لم يوافقوه⁽²⁾، وبقي الحال كذلك إلى أن أقام الملك الظاهر خليفة عباسياً، فبذلك قدر للخلافة العباسية أن تبقى، وتظهر من جديد في القاهرة، لتعيش بعد ذلك نحو قرنين ونصف القرن في ظل سلطة المماليك، حيث رأى الظاهر بيبرس في إحياء الخلافة العباسية في مصر دعماً لهم، فأحضر أحد أبناء البيت العباسي إلى القاهرة وباعه بالخلافة سنة 659هـ/1261م، لكن الخلافة التي تم إحياءها في القاهرة كان الخليفة فيها مجرد شخص له سلطة اسمية فقط تحت سيطرة سلاطين المماليك، لا رأي له على البلاد والعباد⁽³⁾، حكمه ذات صفة معنوية فقط، إلى أن استولى السلطان سليم الأول العثماني على مصر عام 923 هـ / 1577م وانتقلت صفة الخلافة له⁽⁴⁾.

¹ - ابن كثير، م.س، ج 17، ص 380.

² - ابن العماد الحنبلي، م.س، ج 7، ص 468.

³ - إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، دار الكتاب العالمي، ط 1، بيروت، 1989، ص 202.

⁴ - علي أكبر فياض، تاريخ الجزيرة العربية والإسلام، تر: عبد الوهاب علوب، مركز النشر لجامعة القاهرة، ط 1، القاهرة، 1414هـ/1993م، ص 245.

إلا أن جورجى زيدان يذكر: بأن من بقي ونجا من أهل الخليفة العباسي ومن العباسيين ، فروا إلى مصر وهم من إلتجأوا إلى سلاطينها المماليك، فأنزلوهم على الرحب إلى أن فتح السلطان سليم العثماني مصر⁽¹⁾.

¹- جورجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامى، دار مكتبة الحياة، ط1، بيروت، دبت، ص92.

خاتمة

خاتمة:

بعد الدراسة توصلت إلى جملة من النتائج لعل أهمها:

أن الخليفة المستعصم بالله، كان خليفة ضعيف الشخصية، عديم الرأي و أن الاختيار وقع عليه لتلك الصفات، حتى تكون له السلطة الاسمية و الصورية فقط، بينما يكون للوزراء و أكابر الدولة الحكم و التدبير.

أن الشعب المغولي أو التتاري تسموا بكلا المصطلحين، فالأحداث و الوقائع تذكر نفسها حولهم في مختلف المصادر و المراجع، و لكن الاختلاف في التسمية، و بالتالي فهما مسميات لشعب واحد نزح من الجهات الشمالية لبلاد الصين.

حياة البداوة التي عاشها هذا الشعب، و سوء أحوال اقليمهم، و لدت لهم طبائع قاسية وهمجية، جعلت اسمهم مرتبط بالوحشية و التخريب وكل فنون التعذيب.

هذا الشعب لم يظهر على الساحة التاريخية، إلا بعد ظهور زعيمهم جنكيز خان، الذي استطاع أن يكون منهم مجتمعا كغيره، تحكمه مجموعة من قوانين اجتماعية، وعسكرية.

لكنه رغم ذلك لم يستطع أن يكون حضارة خاصة بهم، فالمعلومات حول هذا المجال غير موجودة ما ولد لديهم الغيرة والحقد على المسلمين و تدميرهم لكل معالم و مقومات الحضارة في البلاد الإسلامية.

بالرغم من أن أولى اتساعاتهم كانت في المناطق الصينية المجاورة لهم، إلا أنهم سرعان ما غيروا وجهات نظرهم إلى البلدان الإسلامية.

كانت بدايتهم بالدولة الخوارزمية بدافع حادثة التجار أمرا غير صحيح فأهدافهم مسطرة من قبل، و ذلك كان سببا فقط ، واستطاع جنكيز خان في فترة وجيزة الاستحواذ على الكثير من البلدان .

النتائج التي حققها جنكيز خان في العالم الإسلامي، لا تدل على قوة المغول فقط وحنكتهم و حسن تدبيرهم، و إنما تدل أيضا على ضعف البلاد الإسلامية و سوء تنظيمهم وقلة تدبيرهم.

كانت وفاة جنكيز خان فرصة للمسلمين في سنة 624هـ/1227م للتخلص من المغول، فلقد كان بإمكان الحكام و أمراء الأطراف في المشرق الإسلامي أن ينتهزوا فرصة انسحابه ووفاته ويتوحدوا ويقفوا في وجه هذا الخطر ويصدونه إلا أن شيء من هذا لم يحدث، بل على العكس فقد اتجهوا لمحاربة بعضهم، إضافة إلى التهديدات الخارجية لهم.

إن تلك الفتن الداخلية بين الدول الإسلامية زادت من قوة المغول و أصبحوا يتآمرون ويتحدون مع حكام دولة ما على دولة أخرى، مخاصمة لها، ففي الوقت الذي كان لابد أن تقف الدول الإسلامية مع بعضها البعض ضد العدو، كان العكس بل كانت تقف مع المغول ضد الدولة الأخرى، و بالتالي فإن مقولة في الاتحاد قوة و في التفرق ضعف هي أكيدة، لأن لو كان هناك اتحاد بين الدول الإسلامية لما كان حدث لها ما حدث.

فهذا التفريق بين الدولة الإسلامية و الفتن فيما بينها كان دافعا لزيادة القوة و الثقة في نفوس العدو و كذلك لزيادة الخوف و الفشل في نفوس المسلمين.

واصل أولاد و أحفاد جنكيز خان ما بدأه، إلى أن اجتاحتوا بغداد في 656هـ/1258م، إلا أن هذا السقوط لم يكن بالأمر المفاجئ فلا يوجد في التاريخ سقوط حر لدولة من دون أي ممهّدات و سوابق و إشارات تدل على الحالة التي ستؤول إليها تلك البلاد، لكن ليس كل الدول تستطيع أن تستوعب تلك المؤشرات و توقف الخطر المهدد لها بالأفول، و الدولة العباسية من الدول التي لم تتصد للعدو و لم تضع الحلول في بدايات الأمر، بل أكثر من ذلك فالخليفة المستعصم بالله أثناء حكمه أهمل البلاد و العباد بما في ذلك الجيوش.

الخطر بدأ يهدد بغداد منذ سنة 618هـ/1221م، إلا أن السد الذي وقف حاجزا بين المغول و العراق، هي الإمارة الخوارزمية، لكن بسقوطها ظهر الخطر الفعلي على بغداد.

دخول المغول بغداد بقيادة هولاكو مبعوث الحاكم الأعظم منكوقان الذي أشار عليه بدخول بغداد بعد الإسماعيلية، فكانت تلك هي الفاجعة و أكبر مصائب الإسلام والمسلمين.

بسقوط بغداد ذهب كل مقومات الحضارة فإلى جانب قتلهم للعباد، قاموا بتدمير كل معالمها وإحراق كتبها، لكن بالرغم من سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية إلا أنه كُتب عمر جديد للعباسيين في القاهرة.

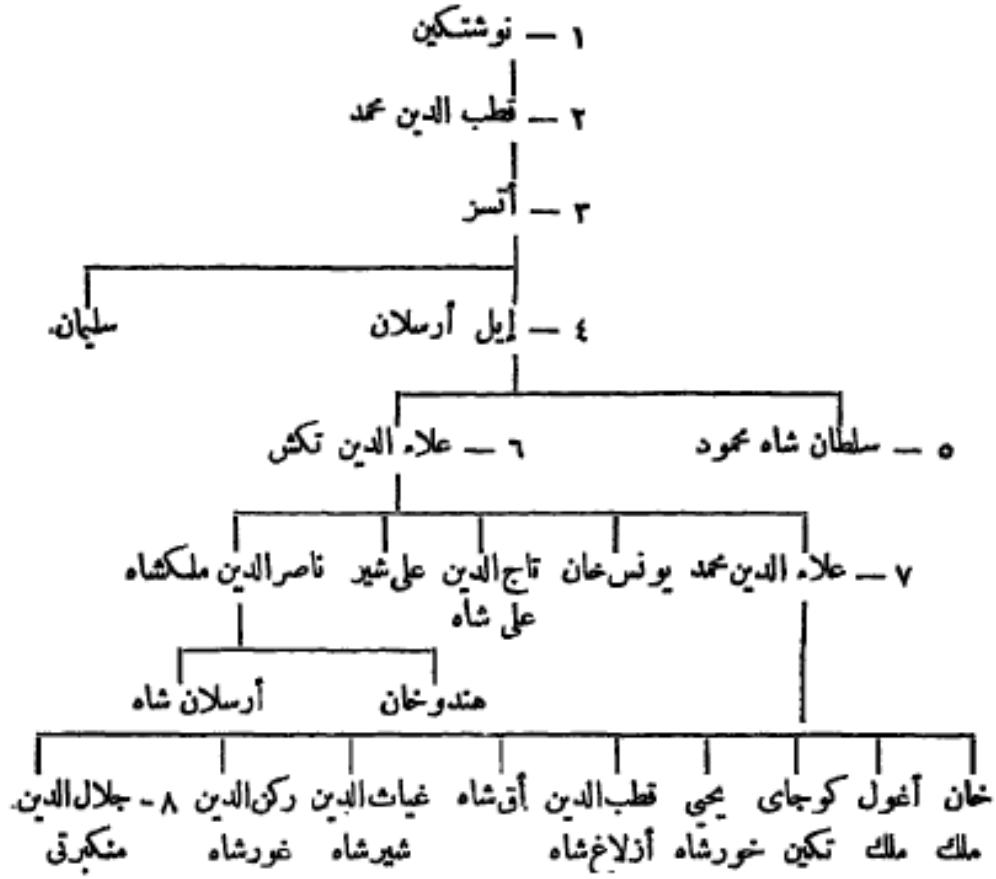
نجد المصادر و المراجع يطلقون مصطلح "فتح" بدل "غزو" أي فتح بغداد إلا أن هذا لم يكن بفتح، بل غزوا حقيقيا، لأن الفتح لا يحمل في طياته الوحشية و التدمير و الغضب والقتل، و إنما يكون دخول بلد لنشر رسالة ما بداخله، و بالتالي ما قم به المغول في بغداد كان غزوا غرضه الانتقام و تلبية رغباتهم في التدمير و التهديم و التوسع و بسط النفوذ. بل أكثر من ذلك فالخليفة المستعصم بالله أثناء حكمه أهمل العباد و البلاد، و كان له دور في اضعافها لاسيما بعد اضعافه للجيش و اهمال العناية بالجنود.

ملاحق



صورة عامة لاحدى معارك المغول

شاهات خوارزم



قتلوا على ايدي المغول

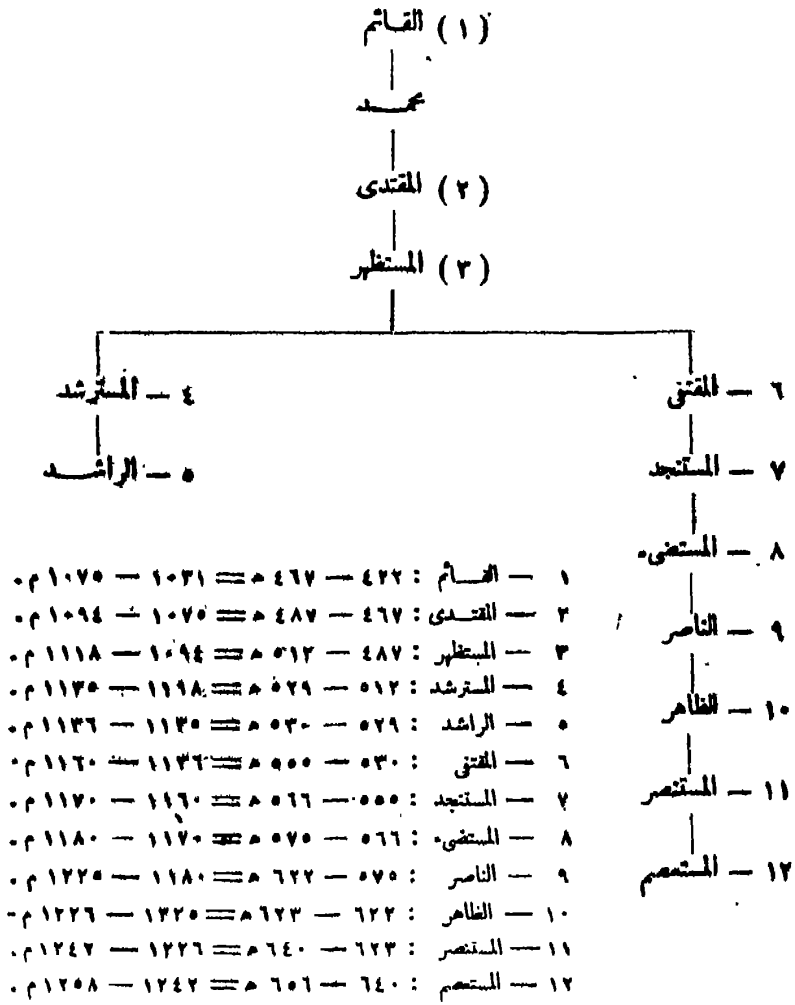
- 1 - نوشتكين : ٤٧٠ - ٥٤٩٠ = ١٠٧٧ - ١٠٩٦ م
 2 - قطب الدين محمد : ٤٩٠ - ٥٥٢١ = ١٠٩٦ - ١١٢٧ م
 3 - اتسر : ٥٣١ - ٥٥٥١ = ١٢٢٧ - ١١٥٦ م
 4 - ايل ارسلان : ٥٥١ - ٥٥٦٨ = ١١٥٦ - ١١٧٢ م
 5 - سلطان شاه محمود : عزل سنة ٥٥٦٨ = ١١٧٢ م
 وتوفي سنة ٥٥٨٩ = ١١٩٣ م
 6 - علاء الدين تكش : ٥٦٨ - ٥٥٩٦ = ١١٧٢ - ١١٩٩ م
 7 - علاء الدين محمد : ٥٩٦ - ٥٦١٧ = ١١٩٩ - ١٢١٩ م
 8 - جلال الدين منكبرتي : ٦١٧ - ٥٦٢٨ = ١٢١٩ - ١٢٣١ م

النسوي، م.س، ص 4.

خلفاء الدولة العباسية

منذ العصر الساجوق حتى سقوط بغداد

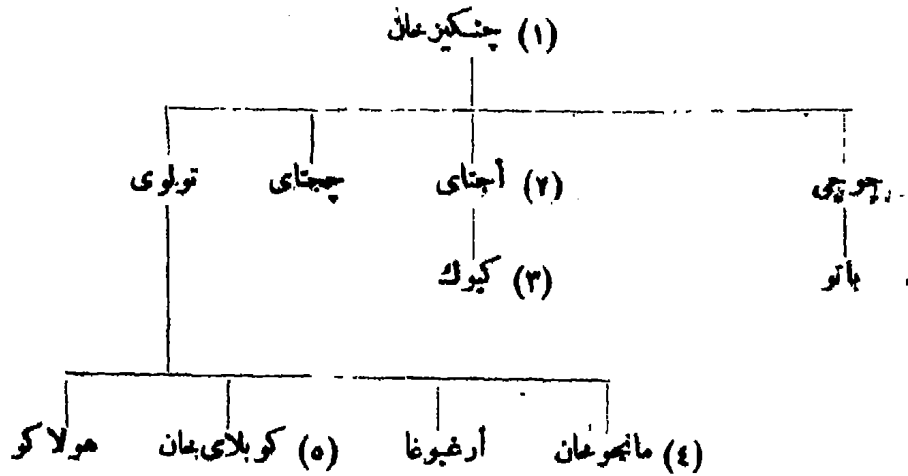
٤٤٧ - ٦٥٦ هـ = ١٠٥٥ - ١٢٥٨ م



حافظ حمدي، م. س، ص 316.

خانات المغول منذ چنگیز خان

حتی کوبلای خان (*)



- ۱ — چنگیز خان : ۶۰۳ — ۶۲۴ ≈ ۱۲۰۶ — ۱۲۲۷ م.
- ۲ — آجتای خان : ۶۲۴ — ۶۳۹ ≈ ۱۲۲۷ — ۱۲۴۱ م.
- ۳ — کیوک خان : ۶۴۴ — ۶۴۶ ≈ ۱۲۴۶ — ۱۲۴۸ م.
- ۴ — مانجیو خان : ۶۴۶ — ۶۵۵ ≈ ۱۲۴۸ — ۱۲۵۷ م.
- ۵ — کوبلای خان : ۶۵۸ — ۶۹۳ ≈ ۱۲۶۰ — ۱۲۹۴ م.

م.ن، ص 318.

لوحة ٧



رسم يمثل اجتماع زعماء المغول للتناداة بجنكيزخان خاقانا عليهم السلام .

م. ن، ص 129.

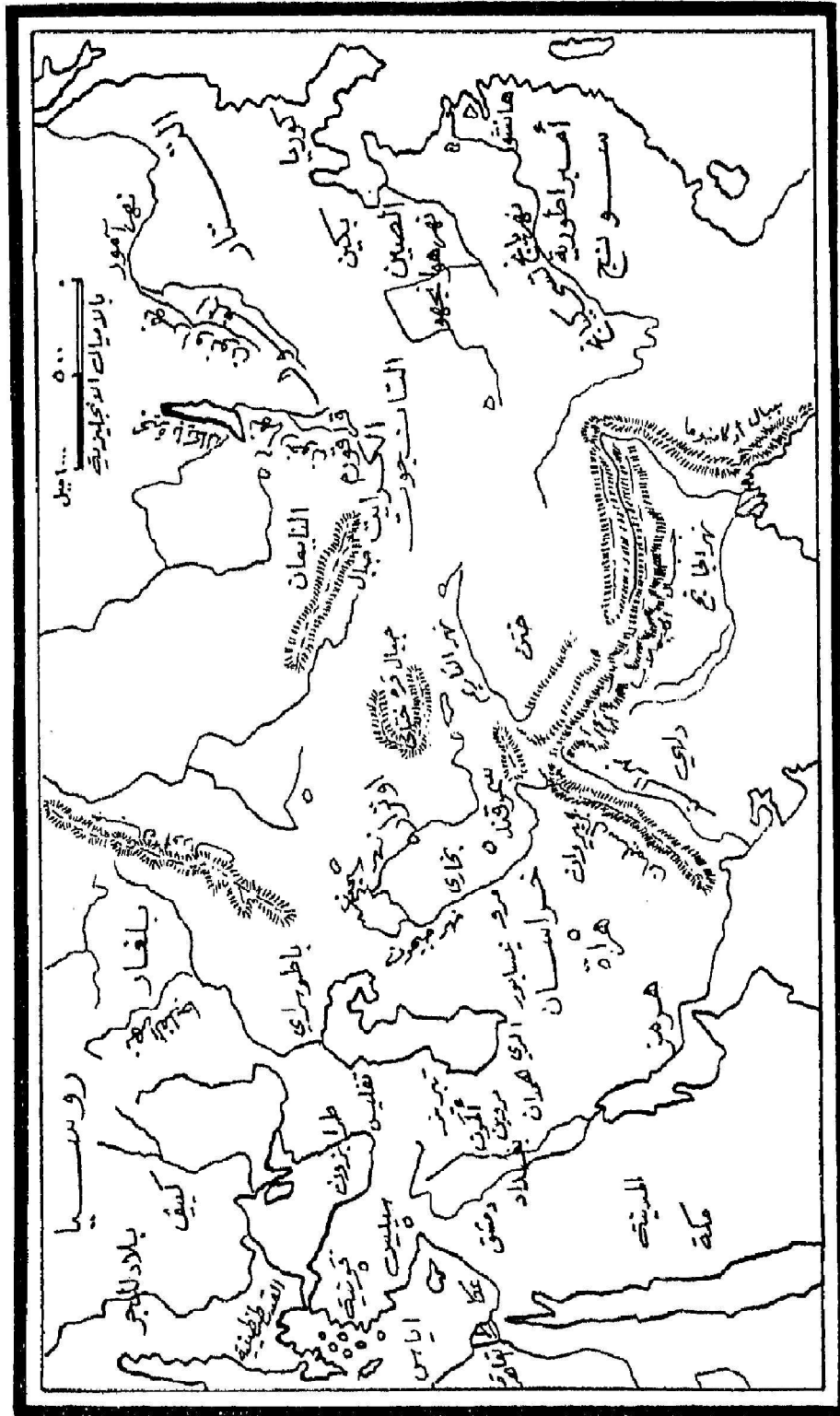
لوحة ٩



منظر لمجوم الفرسان المغول

م. ن، ص 157.

خريطة (٤) امبراطورية المغول



(٢٦)

فؤاد عبد المعطي الصياد، م س، ج ١، ص ٤٠٢.



« چنگيزخان » الحان الأعظم للمغول

م.ن، ص 403.



حفل تولية أوكتاي قاآن
عرش المغول

م ن، ص 405.

وفاة السلطان محمد خوارزمشاه في جزيرة آيسكون



م.ن، ص 406.



ترکان خاتون والدة السلطان محمد نزار مشاه فی أسر المغول



انعقاد القوریثلای لانتخاب منگو خاناً أعظم للمغول

م ن، ص 409.



جلوس هولاء گو علی العرش

م.ن، ص 419.



جندى مغولى

م.ن، ص 419.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

❖ المصادر:

1-إبن الأثير: ابي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الملقب بعزالدين (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، ج 9، ج10، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1407هـ/1987م.

2-إبن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي، (ت874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 6، ج 7، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر، د ط، القاهرة، د ت.

3-الجويني: علاء الدين عطا الملك (ت683هـ)، تاريخ فاتح العالم جهان كشاي، مج 1، مج 3، تح: محمد عبد الوهاب القزويني، تر: السباعي محمد السباعي، دار الكتب والوثائق القومية، ط 1، القاهرة، 2007م.

4-الحنبلي: قطب الدين أبو الفتح موسى إبن محمد إبن أحمد قطب الدين اليونيني البعلبكي، (ت726هـ)، ذيل مرآة الزمان، ج 1، دار المعارف العثمانية، ط 1، جند آباد الدكن، الهند، 1374هـ/1954م.

5-إبن خلدون: عبد الرحمن (ت808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان أكبر، ج5، مر: سهيل زكار، دار الفكر، د ط، بيروت، 1431هـ/2000م.

-الذهبي: شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان (ت748هـ):

6-العبر في خبر من غبر، ج3، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بليون زغلول، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1405هـ/1985م.

7-الأمصار ذوات الآثار، تح: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط 1، بيروت، 1405هـ/1985م.

8-سير أعلام النبلاء، ج 19، ج 23، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 11، بيروت، 1417هـ/1996م.

9-السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ)، دار ابن حزم، ط 1، بيروت، 1424هـ/2003م.

10-أبو شامة: شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي، (ت665هـ)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، مر: عزت العطار الحسيني، دار الجيل، ط 1، بيروت، 1947م.

11-ابن طباطبا: محمد بن علي المعروف بابن الطقطقا (ت704هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، د ط، بيروت، د ت.

12-ابن العبري: غريغوريوس ابن هارون بن توما الملطي أبو الفرج (ت685هـ)، تاريخ مختصر، تح: أنطون صالحاني السيوعي، دار الشرق، ط3، بيروت، 1992م.

13-إبن العماد الحنبلي: شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد العكري
الدمشقي، (ت1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 7، تح: عبد القادر
الأرنؤوط، دار إبن كثير، ط 1، بيروت، 1412هـ/1991م.

14-القلقشندي: أبي العباس أحمد (ت821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 3،
ج4، دار الكتب المصرية، د ط، القاهرة، 1340هـ/1922م.

15-إبن كثير عماد الدين: أبي الفداء إسماعيل بن عمر، (ت774هـ)، البداية والنهاية،
ج10، ج 16، ج 17، تح: عبد الله بن عبد المحن التركي، دار الهجرة، ط 1، القاهرة،
1419هـ/1998م.

16-مغلطاي علاء الدين: بن قلنج بن عبد الله البكري الحنفي (ت762هـ)، مختصر تاريخ
الخلفاء، تح: آسيا كليبان علي البارح، دار الفجر، ط 1، القاهرة، 2001م.

17-المقريزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت845هـ)،
السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 1، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط 1،
بيروت، 1418هـ/1997م.

18-النسوي: محمد بن أحمد (ت647هـ)، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تح: حافظ
أحمد حمدي، دار الفكر، د ط، القاهرة، 1953م.

19-الهمذاني: رشيد الدين فضل الله (ت717هـ)، جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج 1، تر: محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوي، فؤاد الصياد، دار إحياء الكتب العربية، د ط، القاهرة، دت.

20-اليافعي: بن محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/1997م.

21-ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ)، معجم البلدان، ج 1، ج 2، ج 3، ج 4، ج 5، دار صادر، د ط، بيروت، 1397هـ/1977م.

❖ المراجع

1-إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، دار الكتاب العالمي، ط 1، بيروت، 1989م.

2-أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ج 1، دار النهضة العربية، د ط، بيروت، د ت.

3-جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، د ط، بيروت، د ت.

4-حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره

السياسية والدينية و الإقتصادية و الثقافية، دار الفكر العربي، د ط، القاهرة، د ت.

5-حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر

العباسي الثاني في المشرق ومصر والمغرب والأندلس 447-656هـ/1055-1258م، ج4،

دار الجيل، ط 14، بيروت، 1416هـ/1996م.

6-حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار

الفكر العربي، ط 5، القاهرة، د ت.

7-حسن مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي، ط 1، القاهرة، 1987م.

8-خالد عزام، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العباسي، دار أسامة، د ط، الأردن، دت.

9-شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دط، سوريا، 1422هـ/2001م.

10-عبد السلام محمد هارون، معجم مقيدات ابن خلكان، مكتبة الخانجي، ط 1، القاهرة،

1407هـ/1987م.

11-عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر

العربي، د ط، القاهرة، د ت.

12-علي أكبر فياض، تاريخ الجزيرة العربية والإسلام، نر: عبد الوهاب علوب، مركز النشر

لجامعة القاهرة، ط 1، القاهرة، 1414هـ/1993م.

13-فؤاد عبد المعطى الصياد، المغول في التاريخ، ج1، دار النهضة العربية، د ط، بيروت، 1980م.

14-فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية: السقوط و الإنهيار، ج 2، دار الشروق، ط 1، عمان، 2009م.

15-كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم، ط 5، بيروت، 1968م.

16-محمد جاسم حمادي المشهداني، في محكمة التاريخ إبنالعلقي والطوسي، دار القلم، ط 1، دمشق، 1421هـ/2000م.

17-محمد حمودي، تاريخ العصور الوسطى: موقف اليهود من الصراع الإسلامي المغولي، دار الكتاب الحديث، ط 1، القاهرة، 1432هـ/2011م.

18-محمد سعيد العشماوي، الخلافة الإسلامية، دار سينا للنشر، ط 2، القاهرة، 1992م.

19-محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، دط، بيروت، 1429هـ/2008م.

20-محمد السيد، التتار والمغول، ج 4، مؤسسة شباب الجامعة، د ط، القاهرة، 2006.

21-محمود شاكر، التاريخ الإسلامي: الدولة العباسية، ج 2، المكتب الإسلامي، ط 6، بيروت، 1421هـ/2000م.

فهرس المحتويات

شكر و تقدير

إهداء

مقدمة

فصل تمهيدي: التعريف بالخليفة المستعصم بالله.....10-15

المبحث الأول: نسبه، ولادته و نشأته.....11-12

المبحث الثاني: توليته الخلافة.....13-15

الفصل الأول: المغول في التاريخ.....16-46

المبحث الأول: المغول قبل جنكيز خان.....17-24

المبحث الثاني: المغول وجنكيز خان.....25-31

المبحث الثالث: غزوات المغول على البلاد الإسلامية قبل بغداد.....32-46

الفصل الثاني: نهاية الحكم العباسي في بغداد.....47-77

المبحث الأول: أحوال الخلافة و الخليفة قبيل الغزو المغولي لبغداد.....48-54

المبحث الثاني: دور ابن العلقمي في الغزو المغولي على بغداد.....55-61

المبحث الثالث: هولاكو يزيل الخلافة العباسية في بغداد.....61-77

خاتمة.....79-82

الملاحق.....83-99

قائمة المصادر و المراجع